ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1109 - الجمعة 21 صفر 1426 هـ - الموافق 1 أبريل 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

النصح لكل الناس

القرآن الكريم وأبعاده الحضارية

في خصال الصلاة

آصرة العقيدة هي أساس الارتباط بين الناس

الصحراء المغربية وثوابت القيم الوطنية

(2/3)

1 - المرحلة الأولى: قبل الاحتلال:

فمنذ أن بدأ التسلل الاستعماري على أرض الصحراء المغربية والأهالي يتصدون له بكل بسالة لإجلائه عنها، ففي بداية التسلل الإسباني للداخلة، والإنجليزي لطرفاية، وغزو فرنسا لعدة مواقع، تصدى الأهالي لطرد المعتدين، فكان لهم ما أرادوا، وكانت الحرب بينهم وبين الغزاة سجالا.

وسنحاول في هذه المداخلة أن نقوم بجرد سريع لأهم الأحداث والوقائع التي تبرز الأطماع الاستعمارية المتكررة، واستماتة وصمود المغاربة عموما وساكنة الصحراء بشكل خاص في الدفاع عن حوزة وطنهم، مقتصرين في ذلك على ذكر أبرز السنوات وأهم الأحداث التي وقعت فيها:

- ففي سنة 1476م (1) أنشأت إسبانيا برجا في مصب وادي الشبيكة أطلقت عليه اسم (صانطا كروز دي ماربيكينيا) استرجعه المغاربة سنة 1492م فأعاد الإسبان احتلاله سنة 1496م فحرره المغاربة سنة 1517م ومرة أخرى احتله الإسبان ليسترجعه المغاربة سنة 1527م.

- وفي سنة 1764م حط الإنجليزي (كلاص) بالشبيكة فأجلاه المغاربة.

- وفي سنة 1766م تمت مفاوضات بين المغرب وإسبانيا مثل المغرب فيها السفير أحمد الغزال، وطالب الملك كارلوس الثالث إعادة بناء البرج (صانطا كروز) ورفض المغرب ذلك، ولكن الطبعة الإسبانية اعتمدت الخداع حيث اعتبرت أن البرج يوجد خارج حدود المغرب خلاف ما نصت عليه الطبعة العربية للاتفاقية.

- ثم في سنة 1859م جعلت إسبانيا ثمن الصلح مع المغرب بعد هزيمة الجيش في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن إقطاع المكان الذي بني فيه برج (صانطا كروز) لاتخاذه سنة 1478م مركزا للصيد.

- وفي سنة 1879م نزل ماكنزي (الإنجليزي) في طرفاية معتبرا أنها أرض خلاء، وقد قدم نائب السلطان بطنجة إلى سفراء الدول المعتمدين احتجاجات المغرب ورفضه لادعاء ماكنزي الباطل وذلك في 1879-01-28 م.

- وفي 1884-11-03 م أعطت إسبانيا لنفسها الحق لاحتلال بقعة في المغرب حيث نزل (بونللي) بالداخلة ممثلا لشركة إسبانية من كوخ خشبي بناه هناك لتعلن إسبانيا يوم 1884-12-26 م بسط حمايتها على تلك المنطقة.

- لكن في 1885-03-09 م طرد المغاربة الإسبان من ذلك المركز التجاري فاحتجت إسبانيا في 1885-04-16م على المغرب، فأجاب المغرب بأنه قد حذر من الاعتداء على حوزته الترابية فبدأت إسبانيا باستعمال القوة، ففي 1885-06-08 م أرسلت كتيبة عسكرية تحت قيادة ضابط، وقد ظل المركز هدفا للتحرير طيلة سنوات (1886م - 1887م - 1888م - 1889م - 1890م - 1892م - 1894م).

- وفي 1895-03-13م عقد المغرب مع بريطانيا معاهدة مراكش التي أرجعت إليه منطقة طرفاية.

- وفي 1900-07-20 م تم الاتفاق على إنشاء لجنة مشتركة (مغربية إسبانية) تحدد مكانا يقام فيه مركز الصيد البحري المعلن عنه في معاهدة تطوان المبرمة بتاريخ: 26021860م وأن يحدث المركز بالشاطئ المغربي الممتد من رأس جوبي في طرفاية إلى رأس بوجدور بالساقية الحمراء.

- وفي 1900-06-27 م وقعت إسبانيا وفرنسا معاهدة جزئية خاصة بالصحراء تهيمن فيها إسبانيا على وادي الذهب من الرأس الأبيض إلى رأس بوجدور.

- وفي 1902-11-11 م اتفقت إسبانيا وفرنسا على اقتسام المغرب على أن تسيطر إسبانيا على منطقتين شمالية وجنوبية، تمتد الجنوبية من رأس غير جنوب أكادير إلى رأس بوجدور، لكن البرلمان الإسباني رفض المعاهدة.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-13-

في الأعداد الماضية ألقينا نظرة موجزة عن الحج وأركانه وشروطه وواجباته وما يفعله الحاج ومايمنع منه ذكرا كان أو أنثى، ومررنا على الإحرام والطواف والسعي بين الصفا والمروة، والصعود لمنى وعرفات والرجوع لرمي الجمرة الكبرى صباح يوم العيد ووصلنا إلى التحلل الأصغر ثم التحلل الأكبر بطواف الإفاضة، وأخيرا وصلنا لطواف الوداع، والانتقال لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده والسلام عليه، وآداب ذلك ليزداد الأجر والثواب.

ومن المناسب أن نتوقف قليلا مع بعض الأحداث التي ترتبط بحجته صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته الإسلامية فيها.

من الثابت في التحقيق التاريخي لحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن وقوفه بعرفات يوم التاسع من ذي الحجة كان يوم الجمعة، ولم أجد من يخالف في هذا أو يأتي باسم يوم آخر من أيام الأسبوع.

وإذا كان يوم الجمعة هو تاسع ذي الحجة فاليوم الأول كان محققا هو الخميس. أما عن يوم خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة في اتجاه مكة، فلم يتفق المؤرخون وكتاب السيرة النبوية ورواة الأحاديث على يوم معين، فالبعض يقول كان ذلك يوم الخميس الأخير من ذي القعدة، والبعض يقول الجمعة، والبعض الآخر يقول بأن الخروج من المدينة كان يوم السبت، ومراجعة كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية يشعر بهذا الحرج في عدم ضبط يوم الخروج، وقد كان خروجه صلى الله عليه وسلم في سفر فريد من نوعه لم يسبق مثله ولا وقع بعده غيره.

وقد وجدنا فيما كتب عن الاستعداد للسفر للحج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في تجمع للمومنين في يوم مغادرة المدينة المنورة، والمناسبة الوحيدة التي تفرض هذا الجمع العام هي صلاة الجمعة خصوصا وأن عدد الحجاج الذين سيرافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته بلغ مائة وأربعين ألف بين رجل وامرأة على قول، ومائة وخمسة عشر ألف على قول آخر. وقد اجتمعوا في المسجد وحوله بمناسبة صلاة الجمعة وخطب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الجمعة، وبين لهم ماهو الإحرام ومايفعله المحرم وما لايجوز له، وما هي أركان الحج الأخرى من طواف وسعي ووقوف، وكانت مناسبة طبيعية للتفقه في أمور الحج، ويوم السبت بعد صلاة الظهر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة في تجمع إسلامي عظيم في ذلك الوقت، ومعه نساؤه التسعة ونتصور بأن نصف عدد الحجاج كان من النساء والنصف الآخر من الرجال لأن هذه السفرة التي يرأسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تتكرر في التاريخ الإسلامي، وذلك مادفع المسلمين إلى الصحبة فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي المكان المعروف بذي الحليفة وهو ميقات أهل المدينة ومن مر عليها من غير أهلها حيث استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذى الحليفة يقع الآن بضواحي المدينة بنحو عشر كيلو مترات من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتم الرسول عليه الصلاة والسلام نهاره حيث صلى العصر والمغرب والعشاء والصبح والظهر، وكانت نساؤه كلهن معه رضي الله عنهن، وبعد الانتهاء من صلاة الظهر تهيأ للإحرام ولبس الإزار والرداء وأهل بالحج والعمرة كما يروي ابن قيم الجوزية في زاد المعاد الجزء الأول صفحة: ١٧٧ ، ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتي الإحرام ولعله اعتبر أن صلاة الظهر كانت كافية في ذلك الموقف، واعتمد ابن القيم على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج والعمرة قارنا على بضعة وعشرين حديثا قال إنها صحيحة صريحة..

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرفي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

عالمات جليلات اشتهرن بالفقه والتضلع فيه

إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الحلقة الرابعة

أم كلثوم ابنة الشيخ الحافظ أبي عبد الله تقي الدين الفاسي

.... ولدت بمكة المكرمة، ونشأت في بيت علم وفقه وحديث، جاور جدها العلامة الشيخ أحمد الحسني الفاسي، ووالدها محمد بمكة، وكانا من خيرة علمائها، بدأت أم كلثوم التي اشتهرت بكنيتها، واسمها سعيدة، بدأت دراستها في سن مبكرة فأخذت عن جدها، ووالدها، وعن علماء آخرين، وأجاز لها جماعة، منهم: عز الدين ابن جماعة، والشيخ شرف بن الكويك، ودرست علوما متنوعة في اللغة والأدب والفقه، وكان حظها وافرا في علم الحديث، وبعد ذلك تزوجها ابن عمها الشريف عبد اللطيف ابن أبي السرور، وبعد زواجها حملت، وكانت مسرورة هي وزوجها بهذا الحمل، لكن شاءت الأقدار أن تمرض، وتموت وهي حامل سنة: 834هـ بعد موت أبيها بأقل من سنتين، توفيت رحمها الله، وهي في قمة عطائها الفكري والروحي، ولوجودها في بيت علم، أبا عن جد كانت تساعد والدها فيما يقوم به من أعمال جليلة في ميدان البحث والتأليف، قبل زواجها وبعده، وقد استفادت من ذلك كثيرا، وكان بيت والدها يضم خزانة علمية تحتوي على نفائس الكتب والمؤلفات، وكان أبوها إلى جانب قيامه بوظائفه الدينية، من: إمامة، وإفتاء، وقضاء، وتدريس، عاكفا على التأليف، قال عنه السخاوي في الضوء اللامع: "محمد بن أحمد التقي أبو عبدالله، وأبو الطيب، وبها اشتهر الفاسي المكي المالكي شيخ الحرم، يعرف بالتقي الفاسي، حفظ القرآن وصلى به على العادة بمقام الحنبلي، ودرس الأربعين النووية، والعمدة، والرسالة، والمختصر الفرعي، وألفية ابن مالك، وغيرها، وسمع بالمدينة من فاطمة بنت الشهاب الحرازي، وسمع ببلده من عدة شيوخ، ومن شيوخ آخرين. سماهم، بالمدينة، ودخل القاهرة غير مرة، قرأ بها على البلقيني، وابن الملقن، والعراقي والهيثمي والتنوخي، ومريم ابنة الأذرعي، ودخل دمشق مرارا، ودرس بها على أبي هريرة بن الذهبي، وابن أبي المجد، وخديجة ابنة ابن سلطان، وببيت المقدس درس على الشهاب ابن العلاء وغيره وبغزة، والرملة ونابلس والاسكندرية وغيرها، ودخل اليمن مرارا وسمع بها من الوجيه عبد الرحمن بن حيدر الدهقلي، والشهاب أحمد ابن محمد بن عياش الدمشقي، وطائفة... إلى أن يقول:

"وبلغت عدة شيوخه بالسماع والإجازة نحو الخمسمائة"

فالتقي الفاسي والد أم كلثوم كان من كبار علماء مكة، وقام بعدة رحلات علمية، اتصل فيها بالمشهورين من العلماء في مصر والحجاز والشام واليمن وغيرها، حيث ملأ وطابه بالمعارف، وتزود بعلوم شتى أخذها عن كبار علماء البلاد الإسلامية في عصره.

يقول السخاوي: "وعني بعلم الحديث أتم عناية وكتب الكثير، وأفاد، وانتفع الناس به، وأخذوا عنه، ودرس وافتى، وحدث بالحرمين، والقاهرة، ودمشق، وبلاد اليمن بجملة من مروياته ومؤلفاته، سمع منه الأئمة... ويقول بعد ذلك: قال شيخنا في معجمه (يقصد ابن حجر العسقلاني الحافظ الشهير)حدثنا . التقي الفاسي من لفظه بأحاديث، وأجاز لأولادي، ولم يكن بالحجاز مثله، وقرض له شيخنا غيرما تصنيف، وكان يعترف بالتلمذة لشيخنا، ويقدمه على سائر الجماعة، حتى شيخهما العراقي، كما بينت ذلك في "الجواهر"، فالعلامة شمس الدين السخاوي يعتز بشهادة التقي الفاسي وباعترافه بأن شيخه ابن حجر ، مقدم على أقرانه من أشهر علماء عصره، بما فيهم الحافظ العراقي، ويؤكد أنه ذكر ذلك في كتابه: "الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر" وفي هذا الكتاب أفرد ابن حجر بترجمة خاصة ذكر فيها كل مايتعلق بشيخه، من دراسته وشيوخه، ومؤلفاته، وتفوقه في علم الحديث رواية ودراية، مع التعريف برواته، وتخريج الأحاديث، وبيان سندها، ردرجاتها من الصحة والحسن... الخ.

وبعدما اعتز بشهادة أبي عبد الله التقي الفاسي في شيخه ابن حجر يقول عنه: "وكان ذا يد طولى في الحديث، والتاريخ والسير واسع الحفظ، واعتنى بأخبار بلده وأحيا معالمها، وأوضح مجاهلها وجدد مآثرها، وترجم أعيانها، فكتب لها تاريخا حافلا، سماه" شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"... واختصره، وألف "العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين"، في أربع مجلدات...

والحقيقة أن اهتمام التقي الفاسي بتاريخ مكة، ورجالها وحكامها ومآثرها، ومشاهدها، وعمله في ذلك أثنى عليه العلماء، وأشاد به الذين جاءوا بعده لأن الدارسين قبل مؤلفات التقي الفاسي كانوا يعتمدون على (تاريخ مكة للأزرقي، والفاكهي) لكن بعد تأليف التقي الفاسي لمؤلفاته عن البلد الأمين أصبحت مؤلفاته مصدرا غنيا بالمعلومات، وزادت على ما في تاريخ مكة للأزرقي محمد بن عبد الكريم المتوفى سنة: 223هـ، وتاريخ مكة لمحمد بن اسحاق الفاكهي المتوفى سنة:272هـ وأكد الباحثون أنه لم يؤلف بعدهما مايشفي الغليل في هذا الموضوع، والدليل على ذلك أن الرحالة المغاربة مثلا كانوا يعتمدون عليهما، فالتجيبي في الربع الأخير من القرن السابع الهجري، كان يعتمد عليهما، ويؤكد التقي الفاسي في تاريخ مكة المسمى (بشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) أنه لم يصنف أحد في هذا الموضوع بعدهما، وقد عاش رحمه الله في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع.

ومعناه أن التقي الفاسي بمؤلفاته عن مكة، ومآثرها ورجالها من علماء وقضاة وحكام وأمراء... سد فراغا كبيرا . ما بين منتصف القرن الثالث الهجري، والنصف الأول من القرن التاسع من الهجرة، وخلال هذه الفترة الطويلة جدت أمور كثيرة، وحدثت أحداث عظيمة، ومن أهم مؤلفات التقي الفاسي عن مكة:

1. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام في ثلاث مجلدات.
2. مختصره: "تحفة الكرام" في مجلد واحد، حذف منه الأسانيد.
3. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، في ست مجلدات، رتبه على حروف المعجم.
4. مختصره المسمى: "بعجالة القرى، للراغب في تاريخ أم القرى".

وللتقي الفاسي مؤلفاته أخرى كثيرة، ذكرها السخاوي في ترجمته، وهي من نفائس المؤلفات، ويأسف لضياع أكثرها. وينقل قول المقريزي: بأنه تردد إليه بمكة وبالقاهرة.

وهو بحر علم، وكنز فوائد لم يخلف بالحجاز مثله، وكان إماما علامة فقيها حافظا للأسماء والكنى، ذا معرفة تامة بالشيوخ والبلدان، ويد طولى في التاريخ والحديث والفقه وأصوله.. وينقل قول ابن حجر فيه: قال شيخنا: رافقني في السماع كثيرا، بمصر، والشام، واليمن، وغيرها، وكنت أوده وأعظمه، وأقوم معه في مهماته، ولقد ساءني موته، وأسفت على فقده رحمه الله وإيانا"

في هذا الجو العلمي، جو التأليف والتدريس والسماع من الشيوخ، وإعداد الفتاوي والأحكام، عاشت العالمة الجليلة سعيدة أم كلثوم، ابنة الحافظ القاضي محمد بن أحمد الحسني التقي الفاسي، التي ماتت بعد أبيها بقليل وخلفت ذكرا طيبا اذا كانت محترمة، ومعظمة من الجميع، رحمها الله تعالى.

(تتمة ص1)

ورأينا في الصفحات الماضية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء التوجيهات النبوية في خطابه بمسجد المدينة المنورة كان يشرح للناس أعمال الحج والعمرة وترك لهم الاختيار في الإهلال بالحج وحده أو بالعمرة وحدها أو بهما معا، وكل ذلك جائز من الناحية الفقهية، غير أنه يبقى أن ماسيفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون هو الأفضل بطبيعة الحال، وقد فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر عند ما أنهى السعي بين الصفا والمروة بعد طواف القدوم الذي أداه، وأمر من كان معه هدي بالبقاء على إحرامه قارنا و من لم يكن معه هدي أمره بفسخ إحرامه في عمرة وبذلك يتحول إلى حالة متمتع، وعليه الإحرام بالحج وحده يوم التروية ثامن ذي الحجة عند الخروج إلى منى، وعليه تقديم هدي جزاء حالة التمتع، وكانت ممن طبق عليهن هذا القرار بنته فاطمة رضي الله عنها زوجة سيدنا علي بن أبي طالب، ولما رآها في حالة التحلل أنكر عليها ذلك ورفع أمرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بأنه أمرها بذلك، وأنه هو بدوره إذا لم يكن معه هدي عليه أن يتحلل ويقتصر على العمرة إلى يوم التروية فأخبره سيدنا علي رضي الله عنه بأنه ساق الهدي معه وأنه أهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقره على إحرامه.

وأورد صاحب "منهاج الواردين على التفقه في الدين" في الصفحة 401 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحجة بالإفراد على الأصح وهو الأفضل في مذهب الإمام مالك وهو ماصح عنده. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الميقات «ذي الحليفة» يوم الأحد الأخير من ذي القعدة على الصحيح ووصل إلى ذي طوى يوم السبت المقبل حيث قضى في الطريق إليها ستة أيام وفي اليوم السابع وهو رابع ذي الحجة الأحد صباحا دخل إلى مكة المكرمة، وبعد الاستراحة دخل إلى البيت الحرام وطاف طواف القدوم على راحلته حتى يراه الناس كلهم ويفعلون مثل فعله صلى الله عليه وسلم وكان يلمس الحجر الأسود بقضيب بيده ويقبل طرفه الذي مس الحجر، ثم وقف خلف مقام إبراهيم وصلى ركعتين قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتي الكافرون والإخلاص، وبعد الفراغ من الصلاة أقبل على الحجر الاسعد، فاستلمه ثم خرج إلى الصفا، وهي خارجة عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وذلك من الباب الذي يلى الصفا ولما وقف على الصفا قرأ قول الله تعالى "إن الصفا والمروة من شعائر الله" أبدأ بما بدأ الله به، ولما صعد على جبل الصفا استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: لاإلاه إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهوعلى كل شيء قدير، لا إلاه إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك وكرر ذلك ثلاث مرات.

ثم نزل من الصفا يمشي حتى إذا مر بالوادي سعى فإذا جاوزه مشى يعني أنه كان يسرع في مكان معين ولمسافة محددة، وهي معروفة الآن بعلامات الضوء الأخضر، وكل ذلك وهو على راحلته، وكان إذا وصل إلى المروة استقبل القبلة وكبر الله وفعل كما فعل على الصفا، فلما وقف المرة الأخيرة على المروة أمر كل من لاهدي معه أن يحل ويعتبر إحرامه لأجل عمرته، والتحلل المقصود هو التحلل الأكبر بإباحة كل ما كان ممنوعا بسبب الإحرام، وقال صلى الله عليه وسلم قولته المشهورة: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة"

ولم يحل أبو بكر وعمر وعلي لكونهم كانوا مصحوبين بالهدي، وأما نساؤه صلى الله عليه وسلم فأحللن، إلا عائشة رضي الله عنها فقد بقيت محرمة لمانع آخر، وبذلك انتهت الرحلة الأولى من حجته صلى الله عليه وسلم وكان مقامه بظاهر مكة عليه الصلاة والسلام أيام الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء وكان يقصر صلاته الرباعية، فلما كان يوم الخميس الثامن من ذي الحجة ضُحى أمر أصحابه بالرحيل والدخول في حالة الإحرام دون الرجوع للمسجد بل كانت مكة خلف ظهور المسلمين، ولما وصل لمنى صلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ولما طلعت الشمس من يوم الجمعة سار إلى عرفة، والمومنون حوله على مدّ البصر، بعضهم يكبر وبعضهم يلبي، وهو يسمع ولم ينكر على أحد مايقول، وفي نمرة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم القبة ضربت له فاستراح فيها قليلا حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته فركبها حتى وصل إلى بطن الوادي من أرض عرنة، فوقف هناك استعدادا للخطبة ولصلاة الظهر والعصر قصرا وجمعا.

وفي العد المقبل إن شاء الله نزيد بعض التحليلات لخطبته صلى الله عليه وسلم وهي الخطبة المشهورة في أعمال الحج. والسلام.

الوثاق

صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة

للعلامة محمد بن أحمد المسناوي

إعداد وتقديم الأستاذ : إدريس كـرم

الحلقة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

يقول مقيده وجامعه العبد الفقير إلى رحمة مولاه
الغني محمد بن أحمد ابن المسناوي كان الله له آمين.

❖❖❖

الله احمد على ما أنعم، وإياه أشكر شكرا يوفى بما تقرر في الذمم، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد نبيه الأعظم، قياما بما أمر به ربنا من تعظيمه وألزم، وبعد:

....وتصحيح كلام الشهاب بحمل أوله على مطلق الذمة وآخره على الذمة الكاملة، فيندمج التعارض الواقع في كلامه في غاية البعد عن المقام، ومجرى الكلام وإن كان له وجه صحة ونوع قبول في نفسه، لأن للسيد تسلطا على ما في ذمة العبد بالاسقاط والابطال فلا يتبع به ح وإن عتق، وكذا السلطان كما سبق، ولما حصل في ذمة المفلس من الاختلال المذكور، فصارت ذمة كل منهما غير كاملة بهذا الإعتبار، فصح نفيها عنهما أو المراد نفى كما لها، غير أن هذا بعيد عن مقام التعريف والتوقيف ذالك هو مقصود ذلك الكتاب المنيف.

❖❖❖❖

الفرق بين الذمة وأهلية المعاملة والتصرف، المسالة الثالثة في الفرق بين الذمة وأهلية المعاملة والتصرف

أما الذمة فقد عرفت معناها، وأما أهلية التصرف فقال الشهاب حقيقتها، قبول يقدره الشرع في المحل، وسببه عندنا التمييز، وعند الشافعي التمييز مع التكليف، فالصبيان المميزون عندنا لهم أهلية التصرف، ولذلك يصح بيعهم وشراؤهم، وينعقد، وإن كان اللزوم موقوفا على إجازة الولي وعند الشافعي، لا ينعقد أصلا، وإن أذن الولي.

قال، وهذا القبول الذي هو أهلية المعاملة، لا يشترط فيه عندنا الإباحة، فإن الفضولي له هذه الأهلية، مع أن تصرفه حرام، وللمالك إمضاء تصرفه من غير تجديد عقد آخر، وتنفيذ ذلك، فدل على أن عقده قابل للاعتبار، وإنما تعلق به حق آدمي، كتصرف العبد بغير إذن سيده، ثم أنها قد توجد فيما لا يثبت في الذمم، كالنكاح ونحوه، لتصرف الأولياء فيمن لهم عليه الولاية، ففارقت الذمة وإن كان كل منهما، معنى مقدرا في المحل من هذا الوجه، ومن جهة أنه لا إلزام فيها ولا التزام، بخلاف الذمة.

❖❖❖❖

ومن حيث السبب أيضا فإن الذمة يشترط فيها التكليف بلا خلاف بخلافها، ففي اشتراطه فيها خلاف كما سبق، فهما إذن حقيقتان متغايرتان خلافا لما توهمته جماعة من اتحادهما، فإذا قلنا أريد له ذمة فمعناه عندهم أنه أهل لأن يعامل ويتصرف، وتحقيق التغاير بينهما أن أهلية التصرف توجد بدون الذمة، والذمة توجد بدون أهلية التصرف، ويجتمعان، فبينهما العموم والخصوص، الوجهي كالحيوان، والأبيض، فتوجد الأهلية المذكورة فقط في الصبيان المميزين عندنا، وعند أبي حنيفة، وابن حنبل، خلافا للشافعي كما سبق، ولا ذمة لهم عند الجميع، لفقد شرطها الذي هو التكليف.

❖❖❖❖

وتوجد الذمة وحدها في العبيد، فإنهم محجور عليهم لحق السادات، وإن قلنا إنهم يملكون فلا يجوز لهم التصرف إلا بإذن السادات، سد ذريعة إفساد مالهم، وحق السادات متعلق به، ولو جنوا جناية ولم يقع الحديث فيها ولا الحكم كانت متعلقة بذممهم، إذا عتقوا طولبوا بها، وكذلك له ذمة عامة بخلاف أهلية تصرف، فإنها خاصة، وذلك انه محجور عليه في المال الذي جازه الحاكم، ليس له أن يتصرف فيه وله أهلية التصرف في مال استدانه، من قوم آخرين، أو ورثه أو وهب له فقد اختصت أهلية تصرفه ببعض الأموال، وأما ذمته فثابتة بالنسبة إلى الجميع، ويجتمعان في حق الحر البالغ الرشيد فإن له أهلية التصرف، وله ذمة هذا حاصل كلام الشهاب في الفرق بين الحقيقتين المذكورتين، وبيان النسبة بينهما.

❖❖❖❖

فأما ما ذكره من انفراد أهلية المعاملة عن الذمة في الصبيان المميزين وفي معناه السفهاء البالغون، فمبني على ما قدمنا عنه من انتفاء الذمة عنهم، وفيه ما علمت فالحق اجتماعهما فيهم، وكذا ما ذكره من انفراد الذمة عنهما في العبيد والمفلس، غير ظاهر أيضا، إذ كيف يثبت الأهلية المذكورة للصبيان المميزين وينفيها عن العبيد البالغين، وهم فيما يظهر أولى بها منهم لمشاركتهم لهم في التمييز، وزيادتهم عليهم بالتكليف، فقد يوافق على ثبوتها لهم من لا يوافق على ثبوتهما للصبيان كالشافعي، وقوله في بيان ذلك فلا يجوز لهم التصرف إلا بإذن السادات، غير منتج للمطلوب.

❖❖❖❖

وأيضا كيف ينفيها عنهم وقد قال سببها عندنا التمييز وعند الشافعي التمييز مع التكليف وأنه لا يشترط عندنا فيها الإباحة إلى أن قال كتصرف العبد بغير إذن سيده، كما سبق نقله مشبها له بعقد الفضولي، الذي هو صحيح إلا أنه غير لازم، لتعلق حق الغير وكل هذا مما يقتضي ثبوتها لهم، وهل هذا إلا بتناقض وثبوتها لهم، هو الحق الذي لاشك فيه، إذ ثمرتها كما سبق مجرد صحة العقد، وعقودهم صحيحة بدلالة النصوص الشائعة الصريحة وإن كان لزومها متوقفا على إجازة السادات لما ذكره كغيره من تعلق الحق لهم بها، ومحاولة بعض شيوخنا توجيه ما ذكره من التفرقة بين الصبيان والعبيد في الأهلية المذكورة بقوله، أن العبد غير مالك لأن ملكه غير تام، بخلاف الصبي فهو مالك، فالعبد لما كان لا يملك كان تصرفه فيما تحت يده كالمودع المتصرف في الأمانة على وجه الخيانة، والسارق إذا تصرف في الشيء المسروق فضعف تصرفه، فجعل كلا تصرف، بخلاف الصبي لما كان مالكا، كان تصرفه تصرف المالكين، لا تصرف الخائنين لمال الغير، أو أهل الفضول، فاعتد به من أجل ذلك، ولم يعتد بتصرف العبد، لما ذكر، وإن كان مميزا انتهى، غير تامة لأن غاية العبد على توجيهه إن سلم أن يكون كالفضولي من مودع وسارق، وغيرهما، وقد أثبت للفضولي الأهلية كما سبق مع ما في تصحيح النفي المذكور من مخالفة صرائح النصوص الدالة على خلافه، وكذا المفلس لا يصح نفي ما ذكر من الأهلية عنه حتى في المال الذي حازه الحاكم، لأن تصرفه فيه بعد الحجر صحيح، وإن كان موقوفا على نظر من له النظر في ذلك من الحاكم أو الغرماء، خلافا لما يوهمه كلام ابن عبد السلام من عدم صحته، ولذلك انكر ابن عرفة الأقوال التي حكاها ابن الحاجب في معاملته، فقوله وفي معاملته ثالثها بالنقد لا بالنسبة، ورابعها بما يبقى لا بما يذهب.

وقال من أمعن النظر والبحث علم ضرورة عدم وجودها في المذهب، وكل المذهب على وقف تصرفه على نظر الحاكم، ردا وإمضاء، وهذا هو نقل اللخمي، والمازري، وابن رشد، وغيرهم من حفاظ المذهب، فالله تعالى اعلم من أين أتى هذا الرجل بهذه الأقوال هـ.

❖❖❖❖

وقال ابن شاس وأما ما كان منه أي من المفلس من المعاوضات المالية بغير محابات فهو موقوف على إجازة الغرماء، وعليه اقتصر اللخمي والمازري انتهى انظر التوفيق بين كلامي ابن عرفة وابن شاس في كل من شرحي الأجهوري وتلميذه الزرقاني على المختصر.

❖❖❖❖

فتحصل من هذا أن الحق والتحرير في النسبة بين الذمة وأهلية المعاملة باعتبار المعروض، هو التساوي أو العموم، والخصوص، بإطلاق، والأعم هو الذمة بناء على ما سبق من الخلاف في غير المميز من صبي ومجنون، هل لا ذمة له، أو له ذمة، وأن ما اعتقدته الجماعة المذكورة قريب من الصواب، بخلاف ما اختاره الشهاب، وقد أضرب ابن الشاط صفحا عما في كلام الشهاب في هذه المسألة والتي قبلها من الإشكال، مع أنه أمر واضح، وأغفل التعرض لما بين كلاميه فيهما من التعارض مع أنه جلي لائح، وقد علم من عادته معه أنه يناقشه على النقير والقطمير، ويبحث معه في الجليل والحقير، إن هذا لشيء عجاب ولكن شائبة النقصان، من لوازم الإنسان، وليس ينبغي اتصاف بالكمال، إلا لربنا الكبير المتعال، وإلا فهو من ذوي التحقيق والإتقان، وممن لا يختلف في جلالة منصبه اثنان، وكيف وقد قال بلديه المحدث الحافظ الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري السبتي، ما رأيت عالما بالمغرب إلا رجلين ابن البنا المراكشي، وابن الشاط بسبتة.

وبهذا الإغفال وأمثاله يعلم أن ما حكاه ابن غازي عن شيخه الأستاذ أبي عبد الله الصغير، من أنه كان يحكي عن شيخه أبي عبد الله العكرمي، أنه قال: قال لي الشيخ الصالح الزاهد الورع أبو حفص عمر الرجراجي، عليك بقواعد القرافي، ولا تقبل منهما إلا ما قبله ابن الشاط، إنما هو في الجملة وباعتبار الغالب، كما لا يخفى على ذي الفهم الثاقب، إذ كل كلام يوخذ منه ويرد، إلا ما صح لنا عن سيدنا محمد، وكذا البقوري نقل في اختصاره كلام شيخه الشهاب بكماله، جعلناه بالتقييد عرضة النظر، فليتأمله بإنصاف من طاب خيمه، وسلم من داء الحسد أديمه، ولا يستبعد عروض الوهم للأكابر، كما هو شأن أهل التقليد الردي والجمود الظاهر، فليس الخطا بعيب على الراسخ في العلم، ولا بقادح فيمن عرف بجودة النظر وثقوب الفهم، "ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما " .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
وإن كان حاشى المصطفى فائق النبل

❖❖❖❖

المسألة الرابعة في أن الذمة وأهلية المعاملة هل هما من خطاب الوضع المتعلق بحكم من الأحكام الخمسة الوجوب والتحريم والندب والكراهة والإباحة؟ وكان أصله أن لا يقال إلا على ما فيه كلفة، وذلك الحرام والواجب، إذ ما لم توجد الكلفة إلا فيهما لأجل الحمل على الفعل أو الترك خوف العقاب، وأما ما عداهما فالمكلف في سعة منه، لعدم المواخذة، فلا كلفة حَ غير أنه أطلق على الجميع على سبيل التغليب اصطلاحا.

❖❖❖❖

خطاب الوضع هو الخطاب بنصف الأسباب:

وان خطاب الوضع هو الخطاب بنصب الأسباب كالزوال ورؤية الهلال ونصب الشروط، كالطهارة في الصلاة، والحول في الزكاة، ونصب التقادير الشرعية، وهي إعطاء الموجود حكم المعدوم، كتقدير النجاسة الموجودة في حكم العدم في صورة الضرورة التي تعسر الاحتراز منها، أو المعدوم، حكم الموجود كتقدير وجود الملك لمن قال لغيره، اعتق عبدك عني، فاعتقه ليثبت له الولاء، وتحصل الكفارة به عنه إن كان في، كظهار، مع أنه لا ملك وكتقدير الملك في دية المقتول خطا قبل موته، حتى يصح فيها الإرث مع القطع بعدم ملكه لها حال حياته.

❖❖❖❖

هذا ملخص كلام الشهاب في الفرق السادس والعشرين باختصار، وقد اعترض ابن الشاط مثالية الأخيرين فقال، في الأول منهما ما لا حاجة إلى التقدير للملك في هذه المسألة، فإنه لا مانع من عتق الإنسان عبده، عن غيره، من غير تقدير ملك ذلك الغير للعبد ولا تحقيقه، وقال في الثاني ما قاله من لزوم تقدير ملك الدية وعدم تحقيقه ليس بصحيح، بل الصحيح أنه يملك الدية تحقيقا عند انفاذ مقاتله، وقبل زهوق نفسه، ولا مانع من ذلك، وإنما يحتاج إلى تقدير الملك، في دية العمد، لتعذر تحقيقه بكون الدية موقوفة على اختيار الأولياء، وذلك إنما يكون بعد موته، والميت لا يملك هـ.

❖❖❖❖

وكذا البقوري قد اعترضهما أيضا مع مخالفة لكلام ابن الشاط في الثاني منهما، وحاصل اعتراضه أنه لا حاجة لتقدير الملك في شيء منهما، بل ورث الشرع ورثة المقتول خطا من دية ما ملكها قط كما جعل المالك العبد أن يعتقه عن الغير من غير تملك سابق له لا تحقيقا ولا تقديرا هـ، فتأمله فإذا علم هذا فالذمة وأهلية التصرف، قال الشهاب، الذي يظهر لي وأجزم به أنهما من خطاب الوضع، لا من خطاب التكليف، وأنهما يرجعان إلى التقادير الشرعية التي هي إعطاء الموجود حكم المعدوم وأعطاء المعدوم حكم الموجود، وهما من القسم الثاني، الذي هو إعطاء المعدوم حكم الموجود، فإنه لا شيء في المحل من الصفات الوجودية كالألوان ونحوها، وإنما هي نسب خاصة يقدرها الشرع، موجدة عند وجود سببها، والنسب لا وجود لها، قال ابن الشاط، ما قاله من أنهما من خطاب الوضع، هو الظاهر، وما قاله من أنهما من التقادير الشرعية فيه نظر، وكذلك ما قاله من أن النسب أمور سلبية فيه نظر هـ، لم يبن وجه النظرين المذكورين.

❖❖❖❖

أما الأول فلعل وجهه أن التقادير الشرعية لما فيها من إعطاء الشيء حكم ضده الذي هو خلاف الأصل، لا يصار إليها، ولا يقال بها في شيء، إلا إذا تعين ذلك وجها، ولم يوجد سواه طريقا، وأما إذا لم يتعين، وأمكن غيره، فلا تمسكا بالأصل ما أمكن، وهنا أمكن ذلك بادعاء أن الذمة وأهلية المعاملة نفس القبول المذكور، والقبول ليس تقديريا، بل هو تحقيقي، وإن كان اعتباريا، على أن الشهاب فسر أهلية المعاملة بنفس القبول، لها فجعلها مع ذلك من التقادير الشرعية، فيه ما لا يخفى، ولذا اختار ابن الشاط في الذمة أنها القبول لما ذكر، كما سبق خلاف تفسير الشهاب لها والله اعلم.

يتبع...../

في ظلال الحديث

الحديث الثامن والعشرون والمائة: حسن العشرة دليل على الخيرية (2)

نص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" رواه الترمذي

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

أهمية الاستقرار الأسري بالنسبة للداعية

إن الداعية إلى الله عز وجل، أحوج مايكون في دعوته بحاجة إلى من يعينه، ويشد أزره، ويكون له عونا في دعوته، لأن في قلبه هم عظيم، هم الدعوة وإيصال الخير للناس، وهذا الهم قد يتملك لب الداعية ووقته وجهده، فحين يجد من يسنده ويؤيده يبارك الله له في عمله وجهده.

الأسرة توفر للداعية الصادق نصف الجهد، وتعينه على النصف الآخر.

ويبرز جليا أهمية الأسرة للداعية في قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل عليه السلام في الغار وضمه إليه، فجاء إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها الخبر، فهدأت من روعه، وطمأنت نفسه، وسعت في تفريج ما حل بزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت له نعم المعين، ونعم الصاحب وقت الشدة، ونعم الداعم في الدعوة.

. وإن انشغال كثير من الدعاة إلى الله بدعوة الناس والسعي في مصالح العباد، وإهمال الأسرة، لأمر خطير يستوجب إعادة النظر، في ضوابط ومقتضيات الدعوة إلى الله عز وجل، فقد نجد أن زوجات الدعاة إلى الله من أشقى الناس بأزواجهم. إلا من رحم الله وقليل ما هم.

وكم تسمع عن أبناء الدعاة أنهم من أبعد الناس عن الله، وغالبا ما يكون ذلك بتفريط الدعاة أنفسهم في حقوق أبنائهم.

ولذلك صار من الأهمية بمكان طرح مثل هذا الموضوع تنبيها للغافل، وتحذيرا من عواقب إهمال الأسرة وجعلها في مهب الريح.

فإن خيرية الداعية وغيره، كما هي مبينة في الحديث الذي بين أيدينا، أساسها الأول، وقوامها الخيرية للأهل، وليس بعدد الدروس والمواعظ والخطب التي ألقيت أساسا، ولذلك نجد الله عز وجل أول ما أمر به سيد الدعاة: (وأنذر عشيرتك الأقربين)

إن التساهل في أداء الحقوق الزوجية، أو تضييعها بحجة الانشغال بالدعوة وأعمال البر. أمر غير مقبول، وإنما هو من باب ذر الرماد في العيون، وتغطية الشمس بالغربال كما يقولون، إذ لا يستساغ إهمال القاعدة والتطلع في نفس الوقت إلى القمة.

مقومات شخصية الزوج

قبل الشروع في بيان محوري الأسرة الناجحة، لابد من هذه الوقفة المهمة التي نبين فيها مقومات أساسية لابد أن تتوفر في شخصية الزوج حتى يكون أهلا للقوامة التي كلفه الله بها، وحين يتخلف أحد هذه المقومات تتأخر السعادة الزوجية والاستقرار الأسري على قدر تخلف هذه المقومات، وتحقق بقدر تحققها الخيرية المذكورة في الحديث. وهي سبع مقومات.

المقوم الأول: القدوة الصالحة

وحقيقتها أن يوافق الفعل القول، وهو المعنى الذي أشار الله عز وجل إليه بقوله: (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون)

فاقتران الفعل للقول أبلغ في التأثير، وأدعى للاستجابة والتوقير، وقد كان صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في ذلك، فما كان يأمر أهله وغيره بأمر أو يستشيرهم فيه، فيراه صوابا، إلا كان أسبق الناس إلى تطبيقه والعمل به.

من الأمثلة على ذلك ما حدث يوم الحديبية حين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يحلوا، ويحلقوا رؤوسهم فتأبوا عليه، فدخل منزعجا إلى زوجه أم سلمة رضي الله عنها وذكر لها ما يجد من أصحابه، فقالت له: اخرج فامر الحلاق أن يحلق لك رأسك... ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك، ففعل الصحابة بعده لفعله واقتداء به صلى الله عليه وسلم.

هذا المثل يبين لنا أثر القدوة على نفس الآخرين، وكيف أن القدوة من أسهل الطرق لكسب الآخرين وإقناعهم بما تقول.

ولذلك ينبغي على الزوج أن يكون قدوة في بيته، قدوة تقتدي به زوجه وأبناؤه، وحين يكون الزوج كذلك فإنه يكبر في عين من هم حوله (زوجه وبناته وأبناؤه...)، وحينها يسهل التأثير عليهم وتربيتهم تربية صالحة.

وهنا لابد من التنبيه على أمور قد تضرب مقوم القدوة في الصميم فتفسده، ويصبح الداعية ينفر أكثر مما يدعو، يعني أنه يصبح يقوم بالدعوة المضادة، ومن ذلك مظاهرا عدة في حياتنا اليومية منها:

. الأمر بالمعروف من (صلاة، أو قراءة قرآن، أو ذكر، أو توجيه، أو التزام بأمر...) وعدم فعله، والأدهى من ذلك أن يأتي ماينهى عنه فكيف تستقيم زوجة لزوجها حين يأمرها بالصبر. مثلا. لكنه في الواقع يسخط ويرعد ويبرق حتى من أتفه الأسباب والأحوال، كم من زوج هجر زوجته لأجل أنها لم تحسن طبخ طعام ما، أو لأنها أتلفت أو كسرت أثاثا أو...

. عدم تزكية النفس وترقيتها في سلم الكمال البشري، والاكتفاء بالحال على ما هو الحال، والشعار: ليس بالإمكان أكثر مما كان... وهنا مشكلة يجب أن يتنبه لها أهل الدعوة، وخصوصا في هذه النقطة، وذلك حين يجد الرجل من زوجته أنها تقارنه بفلان من الناس، وأن فلانا أحسن منه علما وتدينا وحرقة على دينه، وعملا لأجل دعوته ومبادئه، فإذا وصلت الزوجة إلى هذه المرحلة فهي مرحلة خطيرة على استقرار الحياة، والواجب على الزوج هنا أن يكون محل قدوة لزوجته لا أن يكون غيره من أصحابه وأقرانه مكان القدوة لها، ومن هنا يلزم الزوج أن يجاهد نفسه في الترقي، والتزكية لا لهذا الغرض فحسب بل تقوى لله ورغبة فيما عنده ودفعا لما قد يكون سببا من أسباب التفكك الأسري، فإن المرأة بطبعها. بل البشر عموما. يعجبون بالإنسان العامل المجتهد الذي يترقى في سلم الكمال البشري، ومن هنا كان من مظاهر الإخلال بالقدوة العجز والكسل عن تزكية النفس والترقي بها.

المقوم الثاني: المودة والرحمة والمحبة

وهذا المقوم سر من أسرار الزواج الناجح، وسر من أسرار الأسرة المستقرة الفاعلة السعيدة، ولذلك جعل الله هدف الزواج تحقيق هذه المودة والرحمة بين الزوجين.

وهذا المقوم مهم في باب إقناع الزوجة وكسب قلبها، والداعية الصادق بحاجة إلى أن يكسب قلب زوجه، وأن يجعلها أشد إقناعا بما هو عليه.

كثيرا ما تتذمر زوجات الدعاة من كثرة انشغال أزواجهم بالأعمال الدعوية، وانصرافهم عنهن، يتذمرن من قلة جلوسهم معهن والخروج بهن في نزهة قصيرة، أو حتى إلى السوق مثلا، بحجة كذا وكذا...

والداعية الصادق قد ينشغل جل وقته في أمور دعوته، وأحيانا. أو غالبا. مايؤجل وعوده لزوجته وأبنائه بسبب عمل دعوي، أو برنامج خيري يستلزم وجوده.

وهنا يبرز أهمية هذا المقوم في إقناع الزوجة بهذا العمل، وأنه إنما يقوم به لله، وأنها تؤجر على صبرها وجهادها معه، فإن كان الرجل محبا لزوجته، يغمرها بمودته ورحمته إياها، وهو صادق في قوله وفعله فالكلمة الصادقة التي تخرج من القلب تقع في القلب مباشرة.

إن للمودة والرحمة، أثر عجيب في أن تضحي الزوجة بحقها، من أجل إسعاد زوجها، فتؤثر أن يقوم بمهامه الدعوية والخيرية، طيبة نفسها بذلك، ولذا وجب أن يخبرها، وأبناءه بحبه لهم، ويظهر المودة والرحمة بهم، فيحسون أنه إن قام بعمل دعوي أو خيري، فإنما يريد بذلك وجه الله وسعادتهم في الدنيا والآخرة، على عكس مايفعله بعض الغافلين والجاهلين من الدعاة من إخفاء مايقومون به عن أهلهم، وإذا ما سئلوا أجابوا بكل بساطة أن الأمر لايعنيهم، أو أنه أكبر من فهمهم، ولا أظن أن مثل هذا فهم سيرة الحبيب المصطفى في أهله...

لقد كان صلى الله عليه وسلم مع عائشة رضي الله عنها هينا لينا ما هوت شيئا إلا تابعها عليه.

. كان ينيخ لها ظهره صلى الله عليه وسلم لتصعد وتنظر إلى لعب الأحابيش.

. وكانت تكسر الصحفة (إناء الأكل) بين يديه وعنده بعض أصحابه، فما يزيد عن أن يتبسم صلى الله عليه وسلم.

. وكان صلى الله عليه وسلم يجلس معها تحدثه الحديث الطويل (حديث أم زرع) فلا يضجر أو يمل بل يتابع معها حديثها ولو طال وتعقدت كلماته.

. بل يترافع يوما صلى الله عليه وسلم هو وإياها إلى أبيها أبي بكر رضي الله عنه، فيقول لها: أتكلم أو تتكلمين، فتقول وهي مغضبة: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا، فيصفعها أبوها على وجهها، فيقف صلى الله عليه وسلم بينه وبين زوجته يحميها، ويقول: مالهذا دعوناك، ثم ما يلبث أن يتباسط وإياها فيضحكها وتضحكه...

ومع الأبناء نجده صلوات ربي وسلامه عليه:

. يرتحله حفيده: الحسن أو الحسين وهو ساجد في الصلاة فلا يرفع رأسه حتى ينزل الغلام.

. ينزل يوما من على المنبر ليأخذ حفيده بين ذراعيه ثم يصعد به على المنبر ويكمل خطبته.

. يداعب الأطفال ويعطيهم الهدايا والعطايا.

وكثير ذلك في كتب السنة والسيرة. وبحق هو كما قال عنه سبحانه وتعالى: (إنك لعلى خلق عظيم).

ومن مظاهر المودة والرحمة بين الزوجين:

. التفاعل مع حال الزوجة في فرحها وحزنها، في عافيتها، ومرضها، في حين انشراحها وضيق صدرها ومراعاة تقلب أحوالها...

. العناية بأهل الزوجة، وتفقدهم ومراعاة أحواهلم، وإدخال السرور عليهم، فإن ذلك مما يزيد الحب والمودة بين الزوجين. "صدقة على أهل بيتك صدقة وصلة".

. مبادلتها الضحكة بالضحكة، والأنس بالأنس، والتجمل بالتجمل... في حدود المشروع.

. النظرة الواقعية للزوجة، فلا ينظر إليها أنها أكمل نساء الدنيا، فإن النظرة غير الواقعية تقلب الحياة سعيرا. فالمرأة هي المرأة كما هي: مثل الرجل تتقلب أحوالها، وعليه أن ينظر إليها ويقبلها كما هي، لا كما يشتهي... ولعل القصد مفهوم...

وفي ختام هذا المقوم لابد من التذكير بقاعدتين:

القاعدة الأولى: "أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما" وهذه القاعدة أثرا عن علي رضي الله عنه، ورفعه بعضهم.

القاعدة الثانية: ليس بالحب وحده تقوم الأسر، ولايمكن أن تستمر مع البغض والكره. وللكلام بقية، فإلى الحلقة المقبلة بحول الله تعالى وقوته وتوفيقه.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

النصح لكل مسلم... بل لكل الناس

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين... الحمد لله الرحمان الرحيم الرؤوف الكريم الذي بعث أنبياءه كلهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ناصحين لأقوامهم، وبعث خاتمهم سيد المرسلين محمدا الأمين عليه صلاة الله وسلامه وبركاته ورحماته وعلى آله وصحبه رحمة للعالمين كافة بأحسن النصيحة... (فلله الحمد والمنة ذي الجلال والإكرام والفضل والإنعام) لاإله إلا هو وحده لاشريك له لانعبد إلا إياه ولانستعين بسواه... والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الرحمة المهداة لجميع العالمين وعلى آله وصحبه والمهتدين بهديه وعلى جميع عباد الله الصالحين إلى يوم الدين .

عباد الله، دين جميع أنبياء الله تعالى من لدن آدم إلى محمد عليهم صلوات الله تعالى وسلامه هو النصيحة الخالصة المخلصة التي لاتتوقع أجرا ولاجزاء ولاشكورا، ولايخالطها رياء ولانفاق ولاسمعة...(ودين جميع الأنبياء هو الإسلام . إسلام الوجه لله بتوحيده والخضوع له وحبه وخشيته وتقواه وحسن معاملة عباده والسعي لهم فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم... والنصح لهم بما يرجع عليهم بالفائدة والنفع والسعادة وإرشادهم إلى الحق والخير والفضيلة والجمال والكمال...)وقد نصح نوح عليه السلام قومه فما استجاب له منهم إلا قليل.. وكذلك سائر الأنبياء لقومهم وقال لهم:« أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لاتعلمون" "أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين" "... لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين" "...ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين..)... وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وجميع عباد الله الصالحين فقد قال من بين ما قال لنا ولغيرنا من العالمين وهو الناصح الأمين: "الدين النصيحة... لله ولرسوله ولأ ئمة المسلمين وعامتهم"، وقد نصح رسول الله فعلا أمته وبلغها أمانة الله التي أرسله بها وهداها الصراط السوي المستقيم..(وهذا كتاب الله بين أيدينا وفي صدورنا يشهد على صدق نصحه، وهذه سنته المطهرة تؤكد ذلك لنا وعلينا... لنا إن نحن تمسكنا بهما وعلينا إن نحن فرطنا فيهما)... وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين به من الصحب البررة الكرام يوم عرفة وقد وقفوا معه الموقف وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا- يقال إن عددهم ربا على العشرة آلاف من المومنين يومئذ- فخطبهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وقال: "أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟"قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها عليهم ويقول: "اللهم اشهد ، اللهم اشهد". وهكذا جميع الرسل بلغوا وأدوا ونصحوا مخلصين، فجزى الله تعالى أولئك النخبة الكريمة من صفوة البشر خيرا عن أقوامهم، وجزى الله عنا سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم خير الجزاء...

أيها المؤمنون الأبرار، ماهي هذه النصيحة التي بها جاء الدين من الله تعالى مبلغا بواسطة جميع الأنبياء الكرام، والتي جعلها سيدنا محمد هي الدين كله.. حين قال: الدين النصيحة"، رجعت إلى لسان العرب لابن منظور رحمه الله فوجدت مايلي- مع الاختصار وبعض التعليق الضروري في خطبة الجمعة المباركة- نصح الشيء: خلص، والناصح: هو الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص فقد نصح... وعلى هذا فإن العمدة في أمور الدين كلها هو أن نأتي أو نترك، ونأتمر أو ننتهي وقلوبنا خالصة مخلصة لله تعالى، ونوايانا متوجهة إلى الله.. والله تعالى لا يقبل منا إلا ما كان خالصا له وحده بدون أي شريك خفي أو معلن ظاهر أو باطن، ولعل هذا هو السر في أن إمامي الحديث النبوي الشريف البخاري ومسلم رحمهما الله جمعا في كتابيهما اللذين هما أصح كتابين دينيين بعد كتاب الله تعالى... أقول جمعا فيهما بين النصيحة والإيمان..والحق أنه لا إيمان بدون نصيحة، ولا نصيحة بدون إيمان وإلا فبالله عليكم أيها المؤمنون الأبرار خبروني: أي إيمان لامرئ يغش في أقوات الناس فيخلطها بما ليس منها؟ كمن يخلط العسل بالسكر، أو يخلط الزبد بالنشا أو بالدهن النباتية... أو زيت الزيتون بغيرها أي إيمان لامرئ موظف يتهاون في أداء واجبه وبين أيديه مصالح الناس عاجلة أو آجلة؟... ونماذج أمثال هؤلاء الناس نراها بيننا كثيرة... والله والله والله إنهم يعتقدون أنهم بأعمالهم الدنيئة هذه ينصحون أنفسهم أو أهليهم والحق أنهم لها غاشون ولمن أرادوا نفعهم من أهلهم هم أكثر غشا... ورسول الله يؤكد: "من غشنا فليس منا".. وهكذا نرى أن عدم النصح للمسلمين بغش أعمالهم ومصالحهم وأقواتهم يخرج أهله من جماعة المؤمنين... ومن خرج من إيمانه وانفصل عن إخوانه فلينظر لنفسه ضمن من يكون ومع من يبعث وإلى أي مصير- وبئس المصير- يصير.. وكل لحم نبت من غش وعدم نصيحة فقد نبت من سحت، وكل مانبت من سحت فالنار مولله... وهكذا نجد أن النصح في لغتنا العربية العظيمة الشريفة هو نقيض الغش... وتقول لإخوانك ياأخي المؤمن: أنصح لكم أي أخلص لكم: وأصدقكم... والإخلاص يكون لله أولا بعبادته عبادة حقيقة في السر والعلن والحركة والسكون والنوم واليقظة والعمل والراحة.. عبادة تشمل كل حركات المؤمن وسكناته فهو في عمله يعبد الله كأنه يراه، وفي راحته يعبد الله كأنه يراه، وهو في نومه يتقرب إلى الله بنوم يريحه وينشطه لعبادة الله كأنه يراه... وهو في كل ذلك صادق مع نفسه ناصح لها، وصادق في عمله ناصح له، وصادق مع إخوانه المؤمنين ناصح لهم... صادق مع كل الناس (مؤمنين وكافرين) ناصح لهم.. إنه في كل حياته متحرك لنفع الخلق عيال الله صادق معهم ناصح لهم...وتقول يا أخي المومن: أنا رجل ناصح الجيب... أي أنا رجل . أو امراة . نقي الصدر أو نقية الصدر.. تقولها بكل صدق ويظهر أثرها في عملك على جوارحك فلا تغضب ولاتنتقم ولا تحقد ولاتحسد... وتقول يا أخي أنا ناصح القلب، وتقولين يا أختي أنا ناصحة القلب: أي قلبي لاغش فيه لأي أحد من الناس (العدو والصديق).. بل العدو قبل الصديق... أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني.. ولا يمكن أن أبيت ليلة وفي قلبي ذرة من غش أو حقد أو حسد أو نية إضرار بأحد مسلما كان أو كافرا..وأؤكد: لاغش حتى للكافر، هذا هو محض الإيمان، النصيحة حتى للكافر هذا عين الإيمان.. وبرهان ذلك سنجده في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في آخر شرحه لحديث "الدين النصيحة" حيث يقول: فائدة: التقييد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر، بأن يدعى إلى الإسلام، ويشار عليه بالصواب إذا استشار، وهذا دينك يا أخي المؤمن وهو حجة لك إذا أخذت به وعملت بأوامره واجتنبت نواهيه، وهو حجة عليك إذا أهملته ولم تطبقه، فكن أنت أيضا حجة له ليقتدي بك غيرك فتكون مصباح هدى هاديا مهتديا منيرا مستنيرا.. ولاتكن حجة عليه بسوء أخلاقك وغشك وعدم نصحك لنفسك قبل غيرك... فيشمئز منك الناس ويهجرونك وقد يعزون سوء خلقك إلى تأثير دينك عليك... وقد رأينا كثيرا ممن هم على غير دين الإسلام ينسبون سوء حالة المسلمين وتخلفهم في الحضارة والمدنية إلى الإسلام... وذلك لأنهم يرون عدم نصح المسلمين لبعضهم وتفرقهم وعدم اعتصامهم بحبل الله المتين... ومن المعاني اللغوية أيضا للفظ النصيحة: الخياطة.. تقول أيها المؤمن: نصحت الثوب إذا خطته وجعلت منه شيئا مجتمعا مفيدا نافعا... ومن هذا المعنى نستخلص أن النصح هو رثق الفتق بين المسلمين وجمع كلمتهم ولم شملهم وتوحيد صفهم ليعودوا كما بدأوا إخوانا في الله متحابين فيه وله وبه قلوبهم متآلفة يأمن بعضهم بوائق بعض... بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص يحب كل منهم لإخوانه أفرادا وجماعات مايحب لنفسه، ويكره لهم مايكره لها.. فتصبح الأمة كلا واحدا ملتئما، الكل فيه للكل، والكل فيه للفرد، والفرد فيه للكل... ومن المعاني اللغوية للنصيحة أيضا: الغيث ينصح البلاد نصحا، وذلك إذا رواها ريا حسنا فاتصل نبتها اتصالا فلم يكن فيه فضاء ولاخلل.. وبذلك تخضر وتنضر وتؤتي أكلها وتنتج ما يبهج ويفيد فيكثر الرخاء ويعم الرفاه والخير والجمال... والمؤمن النصوح هو كهذا كالغيث مانزل بأرض إلا حل بها الخير والإحسان... الإحسان بمعناه الصحيح الذي معناه أيها المؤمن: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك... فأنت بذلك أينما حللت أو ارتحلت حين ترى يذكر الله... فأنت غيث كالغيث رحمة من الله... فكن كذلك بقولك وفعلك تنصح نفسك وتنصح غيرك والدين النصيحة كما قال حبيبي وحبيبك محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم...

أخي المؤمن: سأورد لك فيما تبقى من هذه الخطبة الأولى شرحا مختصرا لهذا الحديث الشريف من فتح الباري: والحديث هو "الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"، وورد حديث آخر رواه لنا سيدنا جرير بن عبد الله البجلي قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم..."

الدين النصيحة... أي معظم الدين النصيحة، ويحتمل أن يحمل على ظاهره لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين... والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، وهي من وجيز الكلام بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة... وفي الحديث فوائد أخرى منها: أن الدين يطلق على العمل لكونه سمى النصيحة دينا.. وأما سيدنا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه فقد قال القاضي عياض رحمه الله تعالى عن حديثه الثاني: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"..

اقتصر على الصلاة والزكاة لشهرتهما ولم يذكر الصوم وغيره لدخول ذلك في السمع والطاعة، وللحديث رواية أخرى عن جرير يقول فيها:" بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، فلقنني: فيما استطعت، والنصح لكل مسلم"... فكان جرير إذا اشترى شيئا أو باعه يقول لصاحبه: اعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطينا لك فاختر" وروى الطبراني في ترجمة جرير أن غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة، فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة، فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة، قال القرطبي: كانت مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بحسب مايحتاج إليه من تجديد عهد أو توكيد أمر... وقوله فيما استطعت... أي أن اللازم من الأمور المبايع عليها هو ما يطاق، كما هو المشترط في أصل التكليف... وذلك بالعفو عن الهفوة ومايقع عن خطأ وسهو...

فاللهم إنا نسألك القلب النصوح والعمل النصوح، اللهم إنا نعوذ بك أن تأخذنا على غرة أو تذرنا في غفلة أو تجعلنا من الغافلين لاننصح ولا تنتصح... اللهم اجعل أعمالنا ونياتنا لك خالصة لك نصيحة منا لك ولكتابك ولرسولك ولأئمة المسلمين وعامتهم... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..

قرة العين في معنى تسهيل الهمزة بين بين

الإمام سيدي عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي -أستاذ العدوتين-

ومما كتب به بعض الأقران لشيخنا ابن القاضي أستاذ العدوتين يسأله عن حقيقة تسهيل همزة بين بين.

نص السؤال الحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده وآله وصحبه وسلم تسليما.

الشيخ الإمام الأوحد الهمام، فريد عصره وواحد دهره، شيخنا سيدي عبد الرحمن بن الفقيه الإمام سيدي أبي القاسم بن القاضي قضى الله لنا ولكم وللمسلمين بالخير، وصرف عن الجميع المكاره والغير.

❖❖❖

جوابكم المحقق، ورأيكم الموفق في مسألة حمزة إذا وقف على الهمز في نحو، رءا فإنه يقف بإمالة الألف والهمزة والراء مع تسهيل الهمزة، مشتملة على طرق من الهمزة المحركة إمالتها، فإن قلتم المحال يعد بعض الهمزة المحركة وأما بعض الحرف المد واللين، فليس بمحال لايلزم الترجيح من غير مرجح هل أميل بعض الحرف وإن قلتم أنهما مما لان مع ما أن تجزي الإمالة في حرف واحد ببعضها يتحربه نحو بعض الكسرة وبعض يتحربه نحو بعض الياء لأن الهمزة مشتملة على بعض الفتحة، والألف وإما على من يجوز نطق الهاء فلا إشكال في إمالتها جوابا شافيا والسلام.

❖❖❖

فأجابه الشيخ رضي الله عنه وأبدا وأعاد، وأزال الإشكال وأفصح وبلغ المراد.

نص الجواب والله سبحانه الموفق للصواب

الحمد لله مهد الأمور، مبين الخبا لمن شاء من عباده بالتوفيق والنور، يخص من يشاء برحمته، وهو الرحيم الغفور، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله، المبعوث بالهدى والفرقان، وتبين الحق من الحذلان، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما، تنال ببركتها بحبوحة الجنان وبعد:

الجواب سميته بقرة العين في معنى قولهم تسهيل الهمزة بين بين، فنقول وبالله التوفيق.

إعلم أن الجاري عندنا بأرض المغرب في تسهيل بين بين جعلها خالصة، فمن قرأ بذلك فقد أبدل الهمزة هاء، فلها مخرج معين ومحين محقق، فعلى هذا الوجه لا إشكال فيه ولا يلتبس على الناظر في أول وهلة، وهذا القول هو أحد الأقوال الثلاثة، والثاني لايجوز صوت الهاء مطلقا، والثالث يجوز صوت الهاء في المفتوح لخفته وعدم التبعض دون غيره كما في الحروم والإشمام،وإليها أشرنا، واختلفوا في النطق بالتسهيل، فقيل بالهاء بلا تفعيل وقيل ممنوع على الإطلاق، وقيل في المفتوح قط بأو، وقد جمع الأقوال الثلاثة أبو وكيل ميمون في بيت واحد فقال واحْذَرصوْتَ الهاء عند النطق وقيل لا أو عند فتح فابق وأشار بعضهم إلى طريق المنع بقوله:

ومن يمل بصوته للهاء

فخارج عن ستر النداء

ويؤيده ما قال في الكنز: ينبغي للقاري أن يحترز في التسهيل عن الهاء، وقال في الفريدة، وربما قرب بعضهم لفظها من لفظ الهاء، وليس بشيء، فمذهب أهل الأداء المعمول عندهم أنها تسهل بين بين كما هو مصرح به في كتبهم كالتيسير والشاطبية والدرر، وهم القدوة دون غيرهم، لأن الرواية من طريقهم، ولا يجوز لأحد أن يقول بغير طريقهم، فمعنى بين بين من جهة التركيب العربي في اللفظ أي بين الهمزة وبين الحرف المجانس لحركتها بحذف ما بين الظرفين والعطف على حد خمسة عشر ونحوه.

قال الشاعر:

وبعض القوم يسقط بين بين أصله

بين هذا وبين هذا، ففعل به ماذكرنا

ثم اعلم أن القراء والنحويين ذكروا للحروف مخارج وعينوها وحققوها ولم يذكر أحد منهم للمسهلة مخرجا معينا، وحيزا محققا، لكونها من الفروع لا من الأصول. فهذا أدل دليل على أنها لامخرج لها معين وحيز محقق كما سنرى من كلام الأئمة الأعلام، وهو الحق المؤيد بنور الملك العلام، فقولهم تسهل بين بين، أي يأتي القاري بحرف مخرجه بين الهمزة المحققة، وبين حرف المد واللين، وليس كما يعتقده الناس أي فيها طرفا من الهمز وطرفا من الألف حقيقة، فهذا باطل الأصل لا أصل له.

فإن قلت إنهم صرحوا بالمزج كما قال أبو وكيل وغيره في قوله. فصل:

وقل حقيقة التسهيـــل أن

تمزج همزة بحرف قد سكن.

من جنس شكل الهمز لذ بالشرح

من ضم أو من كسر أومن فتح

فالجواب نقول به، ولكن شيوعا لا أفرازا كما تقدم فا فهم قال الإمام المحقق ابن أبي السداد عبد الواحد المالقي في الدر النثير في شرح التيسير:

❖❖❖

إعلم أن التسهيل يستعمل مطلقا مقيدا، فإذا أطلق فالمراد به جعل الهمزة بين بين أي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها، فإن كانت متحركة بالفتح، جعلت بين الهمزة والألف، ومعناها أن يلفظ به نوعان. اللفظ يكون فيها شبه من لفظ الهمزة، ولاتكون همزة خالصة، وشبه من لفظ الألف، ولاتكون ألف خالصة، وكذلك إن كانت متحركة بالكسر جعلت بين الهمزة والياء على التفسير المتقدم، وإن كانت مضمومة جعلت بين الهمزة والواو على ماتقدم. وهذا تحكمه المشابهة، ويقال في ذلك كله تسهيل وتليين، ويقال تسهيل على ميزان الهمزة، ويقال همزة بين بين انتهى.

فقد أفصح رحمه الله عن المراد، وبين الحق وأزال الإشكال والعناد لا كما يعتبره الناس من الجهالة والفساد، فجزاه الله خيرا وأعظم له أجرا يوم جزاء العباد، ونفعنا بهم وبعلمهم يوم يقوم الاشهاد، بجاه سيد الأولين والآخرين، الشفيع يوم المعاد.

❖❖❖

وقول الشاطبي والمسهل بين ما هو الهمز والحذف الذي منه أشكلا ضمير منه يعود على الهمز، وهذا ينطبق على مذهب سيبويه القائل بأصالة الحروف والحركات فروع، ثم قال والحرف الذي منه إشكال أي الذي ابتدا غاية حركة الهمزة منه بناء على مذهبه، فإن الحركات تولد من حروف المد كما صرح في باب الوقف بقوله: أما هما واو وياء وقال الإمام المحقق برهان الدين الجعبري في كنز المعاني في قول الشاطبي باب الهمزتين من كلمة والتسهيل أي يجعل حرف مخرجه بين مخرج المحققة ومخرج حرف المد الذي يجانس حركتها أو حركة سابقها، وتأصل للمتحرك انتهى، فافهم رحمك الله قوله يجعل حرفا الخ. فقد أفصح جزاه الله خيرا وأعظم له أجرا، وأخرج من كنزه الإبريز وبين تلاوة القرآن العزيز وأزاح الشك والارتياب، إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب.

❖❖❖

ثم قال رحمه الله ويحترز في التسهيل عن الهاوي فحقق أن الألف لايكون في المسهلة كما تقدم فافهمه واعلم.

قال أبو العباس سميت الألف بذلك لأنها تهوي في الفم فلا يعتمد اللسان على شيء منها.

وقال جار الله سامح الله له في مفصله في باب المخارج، ويرتقى عدد الحروف إلى ثلاثة وأربعين، حروف العربية الأصول تلك التسعة والعشرون، وتتفرع منه ستة مأخوذ بها في القرآن في كل كلام فصيح وهو الهمزة بين بين الخ.

❖❖❖

فقد عين أنها فرع لا أصل ولامخرج لها إلى حيز متحد فلو كان لصرحوا به، فهذا أدل دليل كما تقدم على أن لها شبه لا حقيقة، إذ لو كانت حقيقة لكان حيز معلوم مذكور مسطر في كتاب القراء وأهل العربية ويؤيده ما قاله الجعبري في باب المخارج ونصه، والفرعية حروف تنكبت عن مخارجها، فتولد منها حرف مخرجه ما بين المخرجين وهو عام، لكن المسموع منها فصيح في القرآن همزة بين بين، والألف الممالة والصاد كالزاي.

❖❖❖

وقال مكي الألف كالواو، وهي مفرطة التفخيم وبه قرأ ورش في الصلوة، والنون المخفاة انتهى. وقوله في الصلوة أي بتفخيم اللام وإمالته نحو الواد ولفوظ التفخيم إذ الترقيق أصل فيها، والتفخيم فرع كما هو معلوم، وإلى هذا أشار في التحفة حين عين حقيقة التفخيم، وقيل قرن فتحة من ضمة، وألف من واو تلك الشكلة،

وقال الإمام التيسي رحمه الله في الأجوبة المحققة عن مسائل مفترقة، حقيقة التفخيم تنحو الفتحة لضم، وقال الإمام القبجاهي نقله عنه المنتوري في شرحه للدرر اللوامع، عدد الحروف التي قرأ بها أيمة القراء المشهورين ثمانية وثلاثون حرفا، التسعة والعشرون التي هي الأصول، وتسعة من الحروف الفروع المستحسنة وهي النون المخفاة، وهمزة بين بين وهي ثلاثة، والألف بين اللفظين والصاد كالزاي والراء المرققة، واللام المفخمة انتهى.

فإن قلت الهمزة المسهلة هل هي ساكنة أو متحركة؟ الجواب : مذهب سيبويه والبصريين أنها في رتبة المتحركة، ومذهب الكوفيين أنها ساكنة وإليه أشرنا، وهمزة بين بين للبصري محرك، والعكس للكوفي، فإن قلت هل يجوز الابتداء بالهمزة المسهلة أولا يجوز الابتداء بها أصلا؟ الجواب: أما على المذهب الكوفي فلا يجوز، لأنها عندهم ساكنة، والعرب لاتبتدى بساكن عن ولاتقف على متحرك، فوجهه ظاهره، فإن قلت وهل يجوز على مذهب البصريين لأنها عندهم متحركة؟ الجواب: لايجوز، الإجماع إذ الابتداء بالساكن لايجوز، وكذا ماقرب منه لايبتدأ به فافهم.

❖❖❖

ومعنى قربها من الساكن أن حركتها مبعضة لا تامة، فهي مختلسة ومخفاة كالروم والاشمام، قال الداني في المنبهة : والاختلاس حكمه الإسراع بالحركات، كل ذا إجماع، فلما كان النطق فيه ببعض الحركة أي غير مشبعة وتامة قيل فيه ساكن ، كما قيل في قراءة قالون نعما واخواته قراه باشكال العين المراد الاختلاس والإخفاء، ثم اعلم أن الإخفاء والاختلاس والروم تارة يكون في الحركة دون الحرف كما في نعما مثلا وأخواته، فمن أخذ فيه بالاخفاء أي بإخفاء الحركة لا الحرف فالحرف يبقى في جيزه ومخرجه، وإنما حمل الروم في الحركة فقط دون الحرف فافهم.

❖❖❖

وتارة يكون في الحرف نفسه فالحركة نافعة له ما باب أحرى لأن الحرف المختلس خرج عن حقيقته المعلومة إلى حقيقة أخرى كمسألتنا، وقراءة حمزة صراط أينما وقع وكذا نجوا صدف ويصدفون، قال الإمام المحقق برهان الدين الجعبري في كنز المعاني، معنى الاشمام في الصراط هو خلط لفظ الصاد بالزاي، وتعريفه مزج الحرف بآخر شيوعا ويعبر عنه فصاد بين بين وصاد كزاي، وعصر الصاد أي ضغطها عن مخرجها انتهى.

وقال في أول كتابه، والاختلاس والروم يشتركان في التبعيض ويفترقان في أن الاختلاس مختصر بالوصل والثابت من الحركة أكثر من المحذوف، وقال أبو علي الأهواري يأتي بثلي الحركة كأن الذي يحذفه أقل مما يأتي به، ولايضبط إلا بالمشافهة، وإن الروم مختصر بالوقف، والثابت أقل من المحذوف انتهى.

وقال بعضهم :جعل مكي الإخفاء والاختلاس شيئين متباينين ويظهر من الحافظ وابن شريح في أكثر تآليفهما أنهما مترادفان، وقال ابن البادشي في الإقناع، عبر كثير من أهل الأداء في نعما بالإخفاء، ومرادهم به الاختلاس قال بعض المتأخرين: والإخفاء هو النطق ببعض الحركة كالروم في الوقف ومنه الإخفاء في تامننا على مذهب الحافظ، والاختلاس هو النطق بكل الحركة تعطفه بشرعة من غير تمطيط ولا إشباع، قلت بالإخفاء أقرب إلى الساكن من الاختلاس، والاختلاس أقرب إلى التحريك من الإخفاء وكلاهما وسط بين التحريك التام والإسكان، ومقابل الاختلاس الإشباع الذي هو النطق بالحركة هو تعطيف من غير إسراف انتهى.

ثم بعد هذا نأتي بنصوص الأيمة الأعلام على تصحيح ماتقدم من الكلام، قال في كنز المعاني من باب الهمزتين من كلمة والمخففة بين بين محركة للبصريين، وقال الكوفيون وساكنة لعدم الابتداء بها هـ.

❖❖❖

قال الإمام أبو الفضل السلوي محمد المجراد، لايجوز تسهيل الهمزة الأولى إجماعا من العرب، وهذا يدل على أنها قربت من الساكن، ولكنها بذمة المتحركة، قاله سيبويه، فكما أن الساكن المحض لايبتدأ به كذلك أقرب منه، ثم أورد سؤالا فقال فإن قلت همزة بين بين بذلة المحققة فلم لايجوز أن تقع أولا فيبتدأ بها كما أجازوا وقوع الساكن بعدها في نحو إن رأ رجلا اعشى اضربه، رأيت المنون ظهر مثقل قيل فالجواب، إن الابتداء بالساكن محال طبعا فلما كانت المسهلة فزنة المحققة، وكانت أيضا قريبة من الساكن حكموا لها في بحكم الساكن إذا وقعت في الوضع الذي يستحيل فيه وجود الإساكن فرارا من المحال حتى دعاهم ذلك إلى الفرار مما قرب منه، وحكموا لها بحكم المتحركة في موضع لين وقوع الساكن فيه مستحيلا عملا بما فيها من الحاكمين صح انتهى باختصار، وبعضه بالمعنى وبعضه بلفظه فجعل مما ذكرنا أن الهمزة المسهلة ليست مشتملة على طرف من الهمزة وطرفا من الألف كما المعتقد عند الناس، وكما سطر في السؤال عن جهة الإقرار، إذ لا قائل به، بل إنما الممال حرف "الها" المبدل من الهمزة كما تقدم، وبه وقع الأخذ عندنا بأرض المغرب، ووقعت المشافهة به عن الأشياخ المقتدا بهم، فإن قلت هل يجوز لنا أن نأخذ بالحقيقة التي سطرنا كما هو المنصوص؟ قلت: لايجوز، لأنهم اشترطوا فيه المشابهة، وقد عدمت فانعدم، وأيضا حرف "الها" نص عليه الداني، فلا مندوحة من الأخذ به، إذ لم نقدر على الإتيان به لعدم الأخذ اللهم إلا أن ساعدتك حافظتك فيجوز لك منفردا لا في الرواية للكذب والافتراء، فاعلم إذ لم نروه على أحد.

❖❖❖

قال أبو داود سليمان ابن نجم في التنزيل في سورة النمل ليس للقياس طريق في كتاب الله عز وجل، إذ هو سماع وتلقي لقوله عليه السلام لايجوز أن يقول أحد إلا بما أقرئ وسمع تلاوة من القارئ على العالم أو من العالم على المتعلم عن قصد منها انتهى.

وقال الجعبري ، واعلم أنه لايجوز أن يقرأ إلا بما أجيز له قراءته لقول علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا بما علمتم، وقال أبو عبيد لايوخذ القرآن إلا من أفواه الشيوخ هـ وإنما أطلنا الكلام لتحقق المسألة بنصوص من كلام الأئمة الأعلام، ويشرف الحق، ويذهب الجهل والظلام، وهذا مع شغل الليالي ومحن الزمان، لاسيما الاشتغال بتعليم الصبيان، فنطلب الكريم جل جلاله أن يصلح قلوبنا ويميتنا على الإيمان، بجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم سيد ولد عدنان آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، اللهم اختم لنا بالحسنى واغفر لنا ماقدمنا وأخرنا ياأرحم الراحمين يارب العالمين كمل السؤال والجواب بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

أعده للنشر: أبو بكر ح.ع.ق.991.

القرآن الكريم وأبعاده التربوية والحضارية

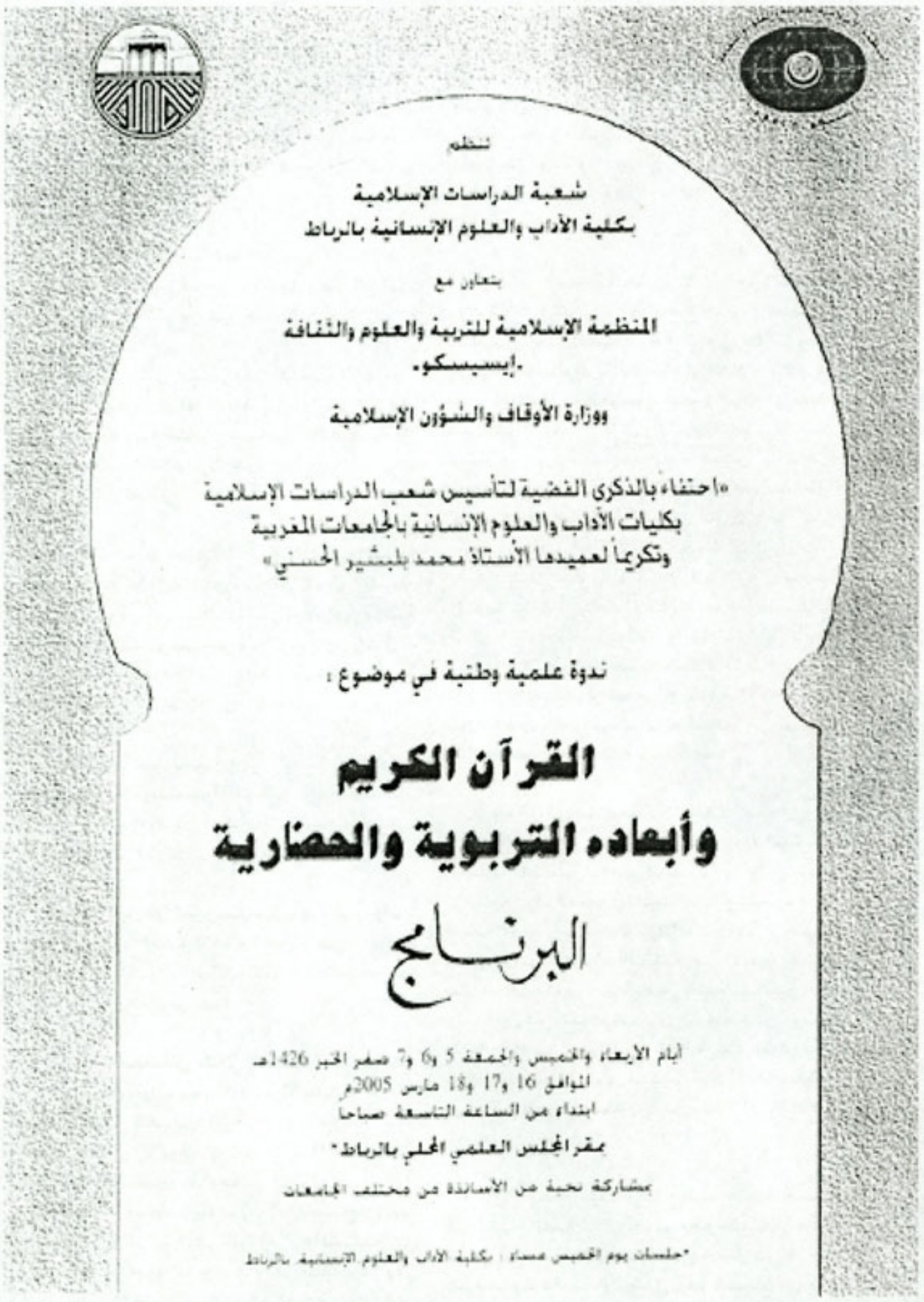

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

القرآن الكريم وابعاده التربوية والحضارية هو عنوان الندوة الوطنية التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط بتعاون مع الايسسكو ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية و المجلس العلمي بالرباط وذلك أيام 5و6و7 صفر الخير 1426هـ/16-17-18 مارس 2005م.

وقد بلغت العروض المقدمة ما يقارب 60 بحثا في مختلف التخصصات ونقدم للقراء نص العرض الذي القاه فضيلة العلامة عبد الله اكديرة في الجلسة الافتتاحية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه واستنار بنوره واستن بسنته واتبعه بإحسان وإيمان وإسلام وعلى جميع عباد الله الصالحين في السماوات والأرضين وكل العالمين إلى يوم الدين

والحمد لله رب العالمين،

حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، على ما أولانا من فضله ونعمائه وعلى ما يوالي علينا من جوده وآلائه، أستعين به على نزعات النفوس وشهواتها وأهوائها ، وأستعيذ به من نزغات شياطين الجن والإنس وإغوائها وإغرائها ووساوسها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها البررة الكرام . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد، لا يمكن لأي تربية أن تقوم قائمتها ، وتمضي بقدم راسخة عازمة جازمة إلى غايتها إلا بعمل الإنسان من أجل الإنسان .. في ظل توجيه رب الإنسان بوحيه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. قرآنه وسننه.

والأبعاد التربوية الحضارية للقرآن في بناء الإنسان ، إذا نحن أردنا أن نستقرئها من القرآن بتدبره ، ومن الأنفس والآفاق، لتبين الحق في خلق الكون بمن فيه وما فيه ،، وأنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى ، لابد لنا فيه من أن نتبين نقطة الانطلاق : أهي الشك؟ أم هي اليقين؟ أم هما معا؟

عدت في بحثي عن الجواب وأنا أعد هذه الكلمة إلى أوراق أحتفظ بها، كنت أسجل بها ما أسمعه في محاضرات أساتذتي عن (التربية وعلومها) لسنوات عديدة.. فإذا بي أواجه بهذه الجملة المثيرة المستفزة« الأساس هو الشك في كل شيء شكا يعيد بناء كل شيء » ومضيت أقرأ ما سجلت ، وكأنني أطالعه لأول مرة مع أنني سجلت على رأس صفحات هذه المحاضرة التي أنقل لكم منها هذا الكلام ، أنها بتاريخ : الخميس 23 ربيع النبوي المبارك سنة 1412 هـ ، الموافق 3 أكتوبر سنة 1991 م ، فإذا بي أجد أيضا هذه الجملة المثيرة المستفزة أيضا » ليس هناك حقيقة نهائية، وحين نَعَتُّ الجملتين بالإثارة والاستفزاز ، لم أقصد بهذين الوصفين معنى قدحيا .. وإنما أردت بهما أنهما . أي الجملتين أثارتاني واستفزتاني لأتساءل : ما مكان الشك واليقين من الأبعاد التربوية والحضارية لبناء الإنسان المسلم بالقرآن الكريم؟ رغم أن الأستاذ الذي ألقى علينا هذه المحاضرة . حفظه الله ورعاه وتولى توفيقه وهداه . أوردهما بصيغة الجزم واليقين .. في حين كان يدعو فيه إلى الشك!!

ويبقى سؤالي مطروحا أمام السادة العلماء المربين في هذه الأيام المباركة ليروا فيه رأيهم السديد ، ويقولون قولهم الرشيد ، إذ لا يتسع أمامي المجال في هذه الكلمة الموجزة العاجلة لأجيب عنه، وأكتفي بأن أضع أمامهم بعض ما وصل بنا أستاذنا المحاضر الكريم إليه من نتائج في أثناء محاضرته .. وقد صاغها صياغة الجزم واليقين في محاضرة بدأها بالشك في كل يقين ، وأضع أمامكم بعض هذه الحقائق كما سجلتها ، وكما سمعتها من فمه .. وأؤكد أنني كنت أحبه وأحترمه وما زلت، رغم ما كان يقوم بيني وبينه من خلاف في الرأي ، يحتدمني أحيانا لا منه ، ولكنه لم يفسد ولن يفسد للود بيني وبينه قضية:

. لابد من أنسنة العملية التعليمية.

. الجوهر هو أن نتصرف خلال العملية التربوية والتعليمية على نحو يجعل المربي شريكا فاعلا واعيا.

. حضور الإنسان في المناهج والدروس والطرق والكتب المدرسية ، والتلميذ كإنسان عند المدرس، وكذلك يعيد المدرس النظر في نفسه وحضور إنسانيته لديه..

. لايمكن التحدث عن أنسنته بدون استعداد لإعادة النظر في كل شيء وبالخصوص في السلوك نحو المربين.

أيها البررة الكرام .. أضع أمامكم هذه (اليقينيات الشاكة) في بداية أيامكم الدراسية المباركة عن القرآن الكريم وأبعاده التربوية والحضارية لبناء الإنسان .. وأنا على يقين لاريب فيه، أنكم توقنون كما أوقن أن القرآن كرم الإنسان وفضله وأن رب الانسان جعله خليفة في الأرض وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته سجود تشريف ، وعلمه البيان .. وأنه بتقوى الله يعلمه الله.، وعلمه أو تعلمه دائم مستمر..

وعلمه أو تعلمه مهما نما وكبر وازداد ، فلن يؤتى منه إلا القليل .. قطرة من بحر محيط لا ساحل له.. واليقين معرفة الإنسان ما يطمئن به وإليه ، ليتزود في كدحه إلى الله بالعلم والعمل، في رحلة لا تنتهي إلى أبعد الآفاق وأعماق الأنفس .. لتبين الحق ... وري الظمإ إلى عمارة الأرض وزينتها بما ينفع الناس ويمكث في الأرض ،، وأما الزبد فيذهب جفاء .. وتلك غاية التربية والحضارة في القرآن وبالقرآن .. وفق الله مسعاكم وسدد خطاكم ...

والسلام عليكم أيها البررة الكرام ورحمة الله تعالى وبركاته.

في خصال الصلاة

للعلامة امحمد بن أحمد بن جزي الغرناطي

وفيه : فرائض، وسنن ، وفضائل ، ومفسدات، ومكروهات، وكل واحد منها عشرون.

❖فأما الفرائض: فمنها عشرة شروط ، وهي : . الطهارة من الحدث ،. والطهارة من النجس. ومعرفة دخول الوقت. وستر العورة. واستقبال القبلة. والنية.

. والترتيب في أداء الصلاة. وموالاة فعلها. وترك الكلام، إلا بما هو من جنسها أو مصلح لها. وترك الفعل الكثير من غير جنس الصلاة.

. ومنها عشرة أركان ، وهي: تكبيرة الإحرام . والقيام لها . وقراءة أم القرآن . والقيام لها. والركوع. والرفع منه. والسجود. والفصل بين السجدتين. والسلام . والجلوس له. وزيد عليها : الطمأنينة، والخشوع.

❖ وأما السنن : فهي الأذان. والإقامة. والصلاة في الجماعة. وقراءة السورة مع أم القرآن. والقيام لها. وتقديم أم القرآن عليها .. والجهر في موضع الجهر . والإسرار في موضع الإسرار . وقول « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد. والتكبيرة سوى تكبيرة الإحرام وترتيل القراءة. ،

والسجود على سبعة آراب . والتشهد الأول . والجلوس له . والتشهد الثاني. والجلوس له. والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . والاعتدال في الأركان . والتيامن بالسلام.

❖ وقد قيل في كثير منها إنها فضائل ، وإنما يسجد سجود السهو لثمانية منها وهي: السورة، والجهر، والإسرار، والتكبير، والتحميد ، والتشهدان، والجلوس لهما.

❖ وأما الفضائل : فهي الصلاة أو ل الوقت . وأخذ الرداء والسترة أمام المصلي . ورفع اليدين مع تكبيرة الإحرام. والترويح بين القدمين في الوقوف. وجعل اليد اليمنى على اليسرى . والتأمين .. ومقدار السورة في الطول والقصر والتوسط.. والقنوت في الصبح. ووضع اليدين على الركبتين في الركوع .. والتسبيح في الركوع والسجود .. والدعاء في السجود وفي الجلوس الأخير .. والانفراج في الركوع والسجود . ومباشرة الأرض باليدين في السجود .. وهيئة الجلوس .. وتقصير الجلسة الوسطى .. وأن لا يكبر في القيام للثالثة حتى يستوي قائما .. ورد السلام على من على اليسار .. وسجود التلاوة .. وقيام الإمام من موضعه ساعة يسلم.

وقد عد كثير من هذه في السنن . وقال بعضهم : أفعال الصلاة كلها فرائض ، إلا ثلاثة : رفع اليدين ، والجلسة الوسطى والتيامن بالسلام ، وأقوال الصلاة كلها ليست بفرائض ، إلا ثلاثة : تكبيرة الإحرام ، وقراءة أم القرآن ، والسلام.

❖ وأما المفسدات فهي : ترك النية أو قطعها .. أو ترك ركن من أركانها كالقراءة والركوع أو غير ذلك من الفرائض ، أو ما قدر عليه منها إن كان له عذر عن استيفائه ، عمدا ترك ذلك أو جهلا أو سهوا ، فهو مفسد لها ، إلا القبلة وإزالة النجاسة وستر العورة ، فإن تركها سهوا يخفف ويعاد منه في الوقت ، وكذا الجهل بالقبلة.

. وكذلك إسقاط الجلسة الأولى من السنن .. وترك ثلاث تكبيرات أو « سمع الله لمن حمده » ومثلها يفسد الصلاة إن فات جبرها بسجود السهو - وكذلك الزيادة عمدا أو جهلا ، وكثيرها سهوا ،. والردة ، والقهقهة كيف كانت .. والكلام لغير إصلاحها .. والأكل والشرب فيها .. والعمل الكثير من غير جنسها . وغلبة الحقن والقرقرة وشبهها . وكذلك الهم الكثير حتى يشغله عنها ولا يفقه ما يصلي - والاتكاء حال قيامه على حائط أو عصا لغير عذر ، بحيث لو أزيل عنه متكأه لسقط .. وذكر صلاة فرض يجب ترتيبها عليه .. والصلاة في الكعبة أو ظهرها .. وتذكر المتيمم الماء فيها .. واختلاف نية المأموم والإمام .. وكذلك فساد صلاة الإمام بغير سهو .. والحدث والنجس أو إقامة الإمام عليه صلاة أخرى .. وكذلك ترك سنة من سننها المذكورة عمدا يفسدها عند بعضهم.

❖ وأما المكروهات: فهي . صلاة الرجل وهو يدافع الأخبثين ، البول والغائط . والالتفات .. وتحدث النفس بأمور الدنيا .. وتشبيك الأصابع وفرقعتها والعبث بها أو بلحيته أو خاتمه أو تسوية الحصا . والإقعاء ، وهو : جلوسه على قدميه أو عند القيام من السجود ، بل يعتمد على يديه عند قيامه ، والصفد . وهو ضم القدمين في القيام كالمكبل .. والصفن ، وهو : رفع إحداهما كما تفعل الدابة عند الوقوف .. والصلب وهو : ضم اليدين على الخاصرتين ويجافي بين العضدين في القيام ، كصفة المصلوب.

. والاختصار ، وهو : وضع اليد على الخاصرة في القيام أيضا .. وأن يصلي وهو متلثم أو كافت شعره أو ثوبه لأجل الصلاة أو حامل في فيه أو غيره ما يشغله .. أو يصلي وهو غضبان أو جائع أو بحضرة الطعام أو ضيق الخف أو شبه ذلك مما يشغله عن فهم الصلاة .. أو يصلي بطريق من يمر بين يديه .. أو يقتل برغوثا أو قملة . أو يدعو في ركوعه أو قبل القراءة في قيامه ، أو يقرأ في ركوعه أو سجوده ، أو يجهر بالتشهد .. أو يرفع راسه أو يخفضه في ركوعه .. أو يرفع بصره إلى السماء في صلاته .. أو يسجد على البُسُط والطنافس ، أو على ما لا تنبته الأرض أو مما هو سرف أوفيه رفاهية .. والصلاة بثوب ليس على أكتافه منه شيء .. وكذلك ما هو ضد للفضائل والمستحبات .. وكذلك ما يشغله عن حضور القلب في الصلاة أو يصرف فكره عنها.

انظر القوانين الفقهية ص: 74.

تأملات وخواطر

■الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

مصير حمامة...

غرفة نومي تطل على فضاء ربيعي مقتطع من حديقة عمومية عتيقة ، لذلك تجدني أشرع نوافذها على هذا الفضاء الجميل الذي زانته الأشجار العملاقة القديمة العهد والمجاورة لبناية البلدية ، ويحدث أحيانا أن تقتحم غرفتي حمامة بيضاء ظلت طريقها، فتقترب مني دون أدنى خوف ، مطمئنة إلى إعجابي بريشها المزركش وعينيها الرقيقتين المصبوغتين بالأحمر والأخضر وطريقة مشيتها وهي تخطو الغرفة في دلال وأناديها بصوت خافت اشبه بالهمس فلا تجيب لكنها تمشي أمامي برشاقة ، كنت أود الاستماع إلى صوتها الحنين الحزين كما فعلت حمامة أبي فراس الحمداني وهو أسير عند الروم في قلعة حلب ، حيث كانت تؤنسه بنوحها ، فيجد فيه كل عزائه:

أقول وقد ناحت بي حمامة
أيا ويحتا هل تشعرين بحالي

حمامتي تكتفي بهز رأسها الصغير والتفاتات رشيقة تشعرني بأنسها ووجودها قريبا مني ، لكن ما أن أدير مفتاح الراديو ويرتفع صوت مذيع الأخبار بصوته النشازي حتى تبتعد وتطير فهي تحب الهدوء وتأنس للصوت الطروب.

لقد أحببت تلك الحمامة لوداعتها، وتضاعف إعجابي بها، ولكأني أرنو إليها ، وإلى ذلك الأمس البعيد وهي جاثمة في عشها بمدخل غار حراء والرسول صلى الله عليه وسلم، وصاحبه أبو بكر مختفيان من طارديهما مشركي قريش.

إني أخالك أيتها الحمامة تشعرين بحالي وما حولي كما شعرت بحال الشاعر أبي فراس ، فبالنسبة إلى حالي لاشيء جديد والناس هم الناس يتآلفون ويؤلفون حينا ويختلفون ويتخاصمون أحيانا والأيام تتقافز وتمضي ، ولا يعرف أحدنا شيئا عن غده ومصيره ، ومع ذلك يتطلع كل منا إلى معرفة مستقبله ، محاولا الاستعانة بكشوفات العرافين والمنجمين ، أو يتطلع إلى الكواكب والأبراج في محاولة يائسة إلى الاضطلاع إلى ما يخبئه له غده.

نحن في دنيانا نركب قطار الحياة يسرع السير حينا ويبطئ الحركة حينا، والناس داخله يتهافتون ويتضاحكون وينكثون ويفرحون بمشاريعهم التي يعتزمون تحقيقها غير عابئين بما يخبئه لهم القدر من مفاجآت قد تكون غير سارة لهم.

ماذا أقول وقد طف الكيل ، واختلت الموازين ، وكشر الشر عن أنيابه وروع القوي بيوتا آمنة ، فمات الأبرياء وسقط الأطفال مدرجين بالدماء ، وسالت دموع المستضعفين بلا شفقة ودون رحمة ، ومع ذلك فالأقوياء المغرورون بما يمتلكون من أدوات الفتك والقمع يملأون الدنيا زعيقا وصراخا بالدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان.

حذاري أيتها الحمامة البريئة وأنت ضعيفة بدون مخالب تدافعين بها عن نفسك من ذلك الهر الأرقط الكامن وراء سور الحديقة ، فعندما تخطرين في الحديقة بكل برائتك يكون عدوك الأثيم في انتظارك ، وها أنذا الآن في انتظار إطلالتك الصباحية بباب النافذة بلا جدوى ، وعندما افتقدتك شاهدت ريشك المزركش متناثرا بباب العمارة ، وكان ذلك دليلا آخر على أن يد الشر تترصد الحرية والبراءة والجمال.

صدر عن المجلس العلمي لجهة مراكش تنسيفت الحوز كتاب تحت عنوان: تنظيم المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور عبد المجيد معلومي نقدم منه لقراء " ميثاق الرابطة" » البحث الرابع تحت عنوان

آصرة العقيدة هي أساس الارتباط بين الناس

■ د: عبد الحميد معلومي

لاشك أن الروابط التي تجمع بين الناس مختلفة، وتعتبر آصرة القربى أو الدم من أقدم الروابط التي كونت المجتمعات البشرية ، ويوم أن ظهر الإسلام كانت تجمعات الناس تظهر على شكل قبائل كما في جزيرة العرب وأماكن أخرى وقوميات كما في بلاد فارس، ومجتمعات دينية كما في الإمبراطورية البيزنطية. وقد جعل الإسلام رابطة العقيدة هي الأساس الأول في ارتباط الناس وتآلفهم وان أقر بعض الأواصر الأخرى إذا انضوت تحت هذا الأصل مثل الأرحام التي حث الاسلام على وصلها ، ورتب على ذلك الأحكام المتعلقة بالتكافل الاجتماعي والإرث ومثل صلة الجوار وما يترتب عليها من تضامن كالصلة بين أبناء المدينة وجعلهم أولى من سواهم بزكاة أغنيائهم ، لكن هذه الصلة ينبغي أن تنضوي تحت آصرة العقيدة، فإذا خالفتها وأضرت بها لم يبق لها أي اعتبار ، فأساس الارتباط في الإسلام هو العقيدة التي تقتضي مصلحتها التفريق بين المرء وأبيه أو ابنه أو زوجته أو عشيرته ، وهكذا قاتل أبو عبيدة رضي الله عنه أباه. وهو يمجد الأصنام. فقتله عندما التقى به في معركة بدر الكبرى ، ورأى أبو حذيفة رضي الله عنه أباه المشرك ويسحب ليرمي في القليب ببدر دون أن ينكر قلبه ذلك.

وروى الترمذي عن عمرو بن دينار سمع جابربن عبد الله يقول : كنا في غزوة قال سفيان يرون أنه غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ... فسمع ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال : أوقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل.

وقد كان عبد الله بن عبد الله بن أبي بارا بأبيه لكن مصلحة العقيدة هي المعتبرة عنده أولا فما رأى أباه يؤذي المسلمين عرض على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتله ويأتيه برأسه.

وقد أوضح القرآن الكريم ذلك فيما قصه عن نوح عليه السلام وابنه :(ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس له به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) سورة هود/ الآيتان 46/45.

وهكذا بين الحق سبحانه ابن نوح وإن كان من أهله باعتبار القرابة لكنه لم يعد من أهله لما فارق الحق وكفر بالله ولم يتبع نوحا نبي الله. وصرح القرآن الكريم بعلة انقطاع الآصرة بين نوح وابنه بقوله :(إنه عمل غير صالح) فإذا كانت القرابة من الدرجة الأولى تنبت عندما تصطدم بالعقيدة فالأحرى أن تنبت صلات الدم والعرق والوطن واللون إذا اصطدمت بمصلحة العقيدة .

وقد حصر الإسلام الأخوة والموالاة بين المؤمنين فقط قال تعالى:« إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات / الآية: 10. وقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين حتى لو كانوا آباءهم ، وإخوانهم أو أبناءهم ، ووصف من يفعل ذلك من المؤمنين بالظلم مما يدل على أن موالاة المؤمنين للكافرين من أعظم الذنوب قال تعالى:« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.» سورة التوبة/ الآية: 23.

وقد وضع القرآن الكريم مصالح المسلم وعلاقته الدنيوية كلها في كفة ووضع حب الله ورسوله والجهاد في سبيله في كفةأخرى ، وحذر المؤمنين وتوعدهم ان هم غلبوا مصالحهم وعلاقاتهم الاجتماعية على مصلحة العقيدة قال تعالى:(قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) سورة التوبة/ الاية:24.

وقد نزلت هذه الآيات من سورة التوبة في الحض على الهجرة إلى المدينة المنورة للدفاع عن الدولة الإسلامية التي نشأت فيها. وقد نجح الصحابة الكرام في امتحان العقيدة ، ففارقوا الأهل والأموال والمساكن التي يحبونها وهاجروا إلى الله ورسوله والجهاد في سبيله.

وخلاصة القول :إن المجتمع المدني الذي أقامه الإسلام كان مجتمعا عقديا يرتبط بالإسلام ، ولا يعرف الموالاة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وهو أعلى أنواع الارتباط وأرقاها.

وهذا المجتمع مفتوح لمن أراد أن ينتمي إليه مهما كان لونه أو جنسه على أن ينخلع من صفاته الجاهلية ويكتسب الشخصية الإسلامية ليتمتع بسائر حقوق المسلمين.

وعلاقات المؤمنين قائمة على الاحترام المتبادل فلا يستعلى غني على فقير ولا قوي على ضعيف.

وقد تفتر العلاقة بين المسلم وأخيه ساعة غضب لكن انقطاعها لا يستمر فوق ثلاث ليال.

وتدعم أسس الحب بالصلة والصدقة ، أخرج الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي عنه قال :« كان أبوطلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء طيب ». فلما نزلت :« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» سورة آل عمران / الآية 92. قام أبو طلحة فقال يارسول الله ، إن الله يقول:(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب أموالي إلي (بيرحاء) ، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك مال رايح ، ذلك مال رايح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : افعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

وقد ثبت في التاريخ أن عثمان رضي الله عنه تصدق بقافلة ضخمة. ألف بعير تحمل البر والزيت والزبيب . على فقراء المسلمين عندما حلت الضائقة الاقتصادية بالمدينة المنورة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد عرض عليه التجار خمسة أضعاف ثمنها ربحا فقال : أعطيت أكثر من ذلك . فقالوا: من الذي أعطاك وما سبقنا إليك أحد ، ونحن تجار المدينة، قال : إن الله أعطاني عشرة أمثالها ثم قسمها بين فقراء المسلمين.

فالعقيدة الإسلامية منعت ظهور الصراع الطبقي في المجتمع الإسلامي ، وآخت بين الأغنياء والفقراء ، ووحدت الصف الداخلي لمواجهة متطلبات الجهاد ، وهذه صورة من المجتمع المدني توضح كيف عاشت مجموعة من أفقر المسلمين في عصر النبوة ، قال الله تعالى:« للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافا ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » سورة البقرة / الآية 273.

ذكر ابن سعد في طبقاته بإسناده إلى محمد بن كعب القرظي ان هذه الآية نزلت في أهل الصفة.

وذكر الطبري في تفسيره بأسانيده عن مجاهد والسدي انها نزلت في فقراء المهاجرين.

وفيما يلي أنتقل إلى صورة من حياة الفقراء في المجتمع الإسلامي وهم أهل الصفة.

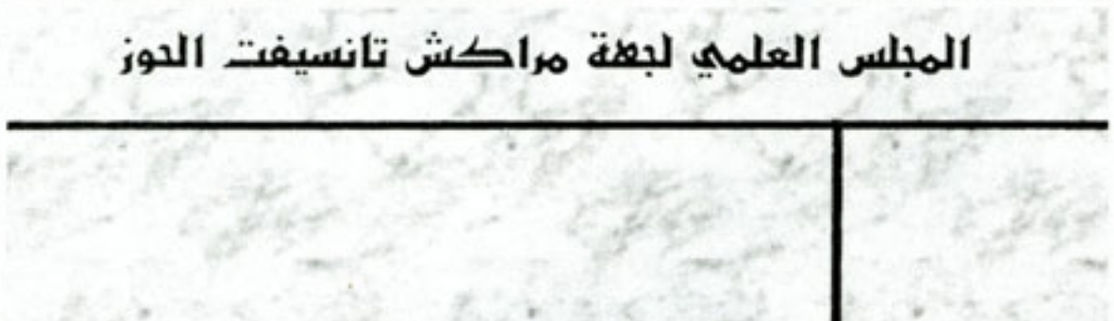

اليتيم

إعداد الأستاذ مصطفى النجار

الاسلام دين تعاطف ، وشرع تآلف ، ومنهاج وداد ، وقانون مسؤوليات . يهدف إلى إسعاد الفرد ، ويرمي إلى إعزاز الجماعة ، ويأمرهما جميعا بأداء الواجبات ، ويكفل لهما معا كافة الحقوق ، وبذلك ينتظم السير ، وتستقيم الأوضاع ، وأفراد المجتمع .كيفما كان . ليسوا بمتساوين ، فالقدرات متباينة ، والمواهب غير متحددة ، والسبل غير ميسرة للجميع . لذلك كان من الواجب أن يأخذ القادر بيد العاجز ، والعالم بيد الجاهل، والغني يبد الفقير ، يجود عليه مما أفاء الله عليه ، وقد عضه الدهر ونال منه الضعف ، وقعدت بالخصاصة ، من غير نظر إلى أي اعتبار ، ومن غير التفات إلى أي حيثية.

ولا يخفى أن شرائح المجتمع متعددة وطبقاته متنوعة، وأبناءه أنماط وأشكال وحتى لا يبقى أي فرد من أفراده معرضا للضياع ، تتلاعب به أيدي الأيام ، تسلمه هذه لتلك، وتقذفه تلك لهذه ، وهو بينهما يقاسي العناء، ويعاني الضرر، ويتجرع المرائر، جعل الإسلام، وهو شرع الله المنزل. اهتمام المسلم بشأن أخيه المسلم ، من دلائل الإيمان الكامل .وإمارات الإخاء الصادق ، وعناوين العناية بالآخرين.

وبين أظهرنا نماذج من الإنسان المحتاج إلى الحدب المفتقر إلى العطف ، وفي مقدمتها : اليتيم ، الذي طغى عليه الزمان ، وعبست في وجهه الظروف ، وقعد به العجز.

فمن هو اليتيم إذن ياترى؟

يقول صاحب المصباح : « اليتيم في الناس من قبَل الأب ، فيقال صغير يتيم والجمع أيتام ، ويتامى ، وصغيرة يتيمة ، وجمعها يتامى ، وفي غير الناس من قِبل الأم / هـ » ففقد الأب بالنسبة للطفل مصاب فادح ، وخطب جلل، به يصبح مستهدفا لكل نوائب الحياة ، إذ بفقد الطفل والده ، والإبن أباه و يفقد من يحميه ويرزأ فيمن يكلفه ويصاب بما لا طاقة له به آنذاك.

فهل من المقبول ، والحالة هذه . أن يبقى هذا الوليد ورقة اهمال تداس بالأرجل ، وتتناول بالأيدي ، وتذوب تحت وطأة عوامل مختلفة ؟ الجواب لا ،وحينئذ ، فعلى عاتق من تلقى مسؤولية احتضان هذا الفرد البشري الناشئ الذي لا حول له ولا قوة؟ إنها تلقى ولا شك على المجتمع . المجتمع كله، بجميع فئاته ، وعناصره يضمن له ما يتطلبه العيش من وسائل ، ويوفر له ما يلزمه من ضروريات وضروريات حتى يشب قادرا على تحمل الأعباء، قائما بنفسه و غنيا عمن سواه ، غير حاقد ولا حاسد، ولا متشائم ولا ناقم ، يسهم في بناء الكيان، وإشادة العمران، وسلامة الإنسانية. وهكذا ، ومن أجل هذا، أولى الإسلام اليتيم من سابغ فضله ، وعظيم اهتمامه، ما يجعله في مأمن من المخاوف ، وحراسة من المزالق، وصيانة من كل ما يعرضه للضياع أو التلف ، وفي هذا الموضوع شواهد ونصوص آيات قرآنية، وأحاديث نبوية ، يكفينا منها قول الله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر أي لا تستذل اليتيم، ولا تهن اليتيم، ، بل اعمل على أن تمد إليه يد حنان، وراحة شفقه وبث في نفسه روح العزة ، بتربيته وتكوينه ، وتعليمه وتقويمه ، وبذلك تنقذ إنسانا ، وتعده لنفع الأمة ، وأي وجود لشخص لا يشارك بنصيب ، قل أوكثر، ، في خدمة أمته ، واسعاد أبناء وطنه؟ ويكفينا من ذلك أيضا الحديث الذي رواه الإمام البخاري : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما.

لقد نهى الله عن قهر اليتيم ، وضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة لمن يكفل اليتيم ، فهل هناك من آذان صاغية ، وقلوب واعية ، ومشاعر من الرحمة تعمل ، على قدر المستطاع. لانتشال أبنائنا اليتامى مما يعانون؟ إن الساحة ليست فارغة بالكلية ، ولكننا نطلب المزيد و المزيد في هذا الباب خير ، ولاسرف في الخير.

ومن أعظم الحسنات، وأجل القرب، وأشرف المساعي : ادخال السرور على الفرد المكلوم ، والإنسان المهضوم، والفرد الجريح ، خصوصا إذا كان هذا الفرد من هذا النوع: طفل يتيم ، أو طفلة يتيمة ، فقد روى الطبراني في الكبير والأوسط ، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن من موجبات المغفرة إد خالك السرور على أخيك المسلم» فابذر في واحات الأفئدة بذور الفرحة ، وانسج في دنيا النفوس خمائل الابتهاج ، كلما استطعت إلى ذلك سبيلا ، أو ألفيت له طريقا.

فستسدي بذلك أخي المسلم معروفا لايوازي ، وتقدم بذلك إحسانا لايحد له مدى ، ولا يوقف له على غاية.

واليتيم في الآدمي كما سبق فقد الأب ، وهذا هو المعنى المعهود غير أن أمير الشعراء أحمد شوقي يرى أن اليتيم الحقيقي هو من تخلت عنه أمه أو أهمله أبوه ،، فيقول:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما
وبحسن تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أما تخلت أو أبا مشغولا

فليقم الأبوان بواجبهما إزاء الأبناء ، والبنات ، وليحرص المجتمع على رعاية شؤون اليتامى في كل ما دق وجل ، حتى تتفادى الأخطار والأضرار التي من شأنها أن تخيف وتهدد.

ولنختم هذا الموضوع بأبيات من قصيدة : " أم اليتيم " للشاعر معروف الرصافي ، لعلها تذكر . والذكرى تنفع المؤمنين . يقول الرصافي رحمه الله:

وبيت بكت فيه الحياة نحوسة
ولا حت بوجه العابس المتجهم
به ألقت الأيام أثقال بؤسها
فهاجت به الأحزان فاغرة الفم
كأني أرى البنيان فيه مهدما
وماهو بالخاوى ولا المتهدم
ولكن زلزال الخطوب هوى به
إلى قعر مهواة الشقاء المجسم
دخلت به عند الصباح على التي
سقاني بكاها في الدجى كأس علقم
فألفيت وجها خدد الدمع خده
ومحصر جفن بالبكا متورم
وجسما نحيفا أنهكته همومه
فكادت تراه العين بعض توهم
لقد جثمت فوق التراب وحولها
صغير لها يرنو بعيني متيم
تراه وما إن جاوز الخمس عمره
يدر لحاظ اليافع المتفهم
بكى حولها جوعا فغدته بالبكا
وليس البكا الا تعلة معدم
وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى
بكاء يتيم جائع حول أيم

تكبيرة الإحرام

العلامة: الامام القاضي عبد الوهاب

142 (فصل): تكبيرة الإحرام من نفس الصلاة وركن من أركانها ، خلافا لأبي حنيفة في قوله : إنه يدخل بها في الصلاة وليس منها، وأصحابه يقولون : هذا ليس بمنصوص عليه ولكنه قول الكرخي ، ودليلنا قوله . عليه السلام. : « إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين نما هو تكبير وتسبيح» وظاهره أن كل تكبير يتعلق بالصلاة فإنه منها ...

143 (مسألة) «وينبغي أن يقف الإمام بعد فراغ الإقامة حتى تعتدل الصفوف ، خلافا لأبي حنيفة في قوله: إنه يكبر حين يقول المؤذنون ، قد قامت الصلاة، لما روي أنه . عليه السلام. كان يقف بعد الإقامة حتى تعتدل الصفوف ، وكان يقول : « سووا بين صفوفكم وتراصوا» وروي أنه . عليه السلام. كان يكلم في الحاجة في إقامة الصلاة ، ثم يكبر بعد أن يأمر فيها بأمره ، ولقوله: « فإذا كبر فكبروا» وهذا يشمل الإمام وغيره.

144 (مسألة) : إذا كان يحسن العربية فلا يجزيه الإحرام بالفارسية ، خلافا لأبي حنيفة، لقوله . عليه السلام. : « يقول: الله أكبر» ، وقوله : « صلوا كما رأيتموني أصلي ».

145 . (مسألة)ويرفع يديه عند تكبيرة الإحرام ، خلافا لقوم ، لما رواه جماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه.

146(مسألة) وعنه في رفعها عند الركوع والرفع منه روايتان ، فوجه إثباته ما رواه ابن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه حين ركع، وحين يرفع رأسه من الركوع ، وروى ابن أبي رافع عن علي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الافتتاح والركوع ورفع الرأس منه ، وروى وائل بن حجر وأبو حُميد ، ولأنها تكبيرة حال القيام في الركعة الأولى كتكبيرة الإحرام ، ووجه نفيه مارواه ابن مسعود والبراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يرفع يديه مع تكبيرة الإحرام ثم لا يعود لرفعها ، وقال ابن مسعود : أنا أعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يرفع يديه إلا مرة..

147 (مسألة): والاختيار رفعها إلى المنكبين ، خلافا لأبي حنيفة في قوله : إلى الأذنين ، لما روى ابن عمر وأبو حميد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه..

148(مسألة) : المستحب أن يقرأ الفاتحة عقيب الإحرام خلافا للشافعي في استحبابه التوجيه والتسبيح ، لما روى أبو حميد في وصفه صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يرفع يديه ويكبر ثم يقرأ وقوله للذي علمه الصلاة : كبر ثم اقرأ، وقوله : تكبر ثم وفي حديث أُبَيّ : كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال " الله أكبر، الحمد لله رب العالمين...

انظر: الاتحاف حـ 1ص:378

حركة العلوم والأدب بمدينة تازة

■ د. ربيعة بنويس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية - القنيطرة

الحلقة الأولى

كانت مدينة تازة من المدن المغربية العتيقة التي ساهمت بدور فعال في بناء ثقافة هذا البلد، وخاصة في عهد الدولة المرينية والوطاسية، وذلك نتيجة موقعها الاستراتيجي الهام الذي جعل منها نقطة عبور أساسية إلى الديار المشرقية ، فكان لابد لكل عالم أو فقيه أو حاج سواء من الأندلس أو من داخل المغرب من المرور بها، مما كان يساعد في تبادل أنواع الثقافات ، وخاصة الدينية التي كانت مسيطرة على الجو العلمي العام للمغرب منذ العهد المريني.

ولقد أولى المرينيون لهذه المدينة من العناية ما أولوه لعاصمتهم فاس ، على اعتبار أنها كانت أولى المدن التي دخلت في طاعتهم ، فأنشأوا فيها المساجد والمدارس والمنشآت المختلفة، الشيء الذي أهلها لتكون من المراكز العلمية الهامة ، وهنا يقول الحسن الوزان الذي زارها في العهد الوطاسي : « تحتل هذه المدينة الدرجة الثالثة في المملكة من حيث المكانة والحضارة ، ففيها جامع أكبر من جامع فاس ، وثلاث مدارس .. وسكانها شجعان كرماء بالمقياس إلى أهل فاس ، من بينهم عدد كثير من العلماء والأخيار والأثرياء».

أما الجامع فيعتبر تحفة فنية رائعة، وشاهدا على الفن المعماري الذي عرف تطورا كبيرا في العصر المريني ، الذي اهتم امراؤه بصفة خاصة ببناء الجوامع والمدارس والقصور الفخمة ، وقد بدأ في بنائه الخليفة الموحدي الأول عبد المومن بن علي الكومي ، وأتمه وزخرفه السلطان أبو الحسن يوسف ، بدأ بناءه سنة تسعين وستمائة وفرغ منه سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وهو أكبر جامع بهذه المدينة ، له سبعة أبواب تحيط به من كل جهة ، وتزينه الثريا الفريدة الصنع في العالم أجمع ، وزنها اثنان وثلاثون قنطارا من النحاس، وعدد كؤوسها خمسمائة كأس وأربعة عشر كأسا ، وقد قال عنها الوزير الإسحاقي " ورأيت .. الثريا العجيبة التي يضرب بها المثل في قلة النظير، ويذكر الناس أنها لا شبيه لها في الثريات ، فإذا هي عقنقل عظيم مرصع بمراكز القناديل ترصيعا محكم الصنعة في غاية الضخامة ، متماسك في الهواء بسلسة من النحاس، يتعجب الناظر من هيئة الثريا وتماسكها بها مكتوب فيها

ياناظرا في جمالي حقق النظرا
ومتع الطرف في حسني الذي بهرا
أنا الثريا التي تازا بي افتخرت
على الأقوام فما مثلي الزمان يرى!

وألحق بهذا المسجد مدرسة ومأوى للطلبة وخزانة كبيرة ، كان يوجد بها أكثر من عشرة آلاف مجلد في عصر بني مرين ، لم يبق من هذه المجلدات إلا ما يقرب من سبعمائة مخطوط . وقد كان منقوشا على هذه الخزانة ثلاثة أبيات شعرية لم يعد لها وجود منذ أمد بعيد كما أشار إلى ذلك الإسحاقي ، وهذه الأبيات هي:

لي منزل بين الخزائن شامخ
قد خص من بيت الإله بمنزل
حفظا لمجموع " الشفا" أنشئت عن
أمر الخليفة " فارس" " المتوكل"
في عام سبع بعد خمسين انقضت
ومئين سبع في ربيع الأول

كل هذا يدل على ازدهار الحياة العلمية بهذه المدينة ، خاصة في العصر المريني ، وتطور العلوم بها كثرة العلماء ،وفي هذه النقطة يقول المرحوم عبد الله كنون في ترجمته لابن بري التازي » وكان الوسط العلمي في تازة إبان ذلك مزدهرا بسبب عناية الدولة الجديدة . وهي دولة المرينيين . بهذه المدينة .. وقد جددوا معالمها، وأنشأوا فيها مساجد ومدارس لطلبة العلم ، ورتبوا بها المدرسين حتى أصبحت ثالثة من المغرب الكبرى .. وهي من قبل كانت دار علم ظهر منها العلماء والأدباء والمتصوفة الكبار».

وهذا الرأي سبق إليه الإسحاقي في رحلته الحجازيةحيث قال » وزرناها ، فإذا هي مدينة آخذة من الحضارة بطرف ، وحصن من المعاقل التي تعقل بها أثر الحسن القديم ، وبها جامع كأحسن ما أنت راء من الجوامع سعة وحصانة وبناء متقنا محكم الكشل .. تلاحقه مدرسة عجيبة مكتوب على بابها:

لعمرك ما مثلي بشرق ومغرب
يفوق المباني حسنَ منظري الحَسَنْ
بنَاني لدَرْسِ العلم مُبْتَغياً به
ثواباً من الله الأمير أبو الحسن»

يبرز هذا الكلام مكانة مدينة تازة العلمية والحضارية والعمرانية ، والمدرسة المشار إليها في هذين البيتين هي المدرسة المعروفة بـ " مدرسة المشور" والتي أصبحت حاليا دارا للشباب ، وهي موجودة بتازة العليا ، وقد انشأها أبو الحسن المريني أثناء ولايته للعهد.

كما يحدثنا أحمد المقري في كتابه" أزهار الرياض" عن المكانة العلمية لهذه المدينة التي كانت تجمع كثيرا من أهل اللسان وفرسان البلاغة والمعارف ، يقول متحدثا عن الشيخ أبي الحسن الصغير ، الفقيه المالكي الذي تولى قضاء مدينة تازة أيام أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، ولا شك أن أبا الحسن قد ساهم في إثراء هذه المدينة بفكره من خلال تدريس أبنائها رغم اشتغاله بالقضاء " اعلم أرشدك الله ، أن أبا الحسن كان إمام وقته في فقه المدونة .. لم ينظر في الفقه حتى أتقن علم الفرائض وفنون البلاغة ، وتلقى ذلك من أربابه ، وارتحل وانتقل إلى تازة ، فلازم أهل اللسان وفرسان المعارف وقتا طويلا ، ثم اعتكف على قراءة " التهذيب"

. وقد عقد الأستاذ محمد بن أحمد الأمراني على هذا النص تعقيبا جميلا لابأس من ذكره يقول فيه : « إلا أن النص يقول:» وانتقل إلى تازة فلازم أهل اللسان وفرسان المعارف وقتا طويلا.." هكذا بالفاء التي تفيد التعقيب، فمن هم أهل اللسان وفرسان المعارف الذين لازمهم أبو الحسن الصغير وقتا طويلا؟ لاشك أنهم من أهل تازة لأن النص يقول بعد هذا : « ثم اعتكف على قراءة التهذيب" هكذا " ثم" التي تفيد الراخي».

حصة أوقات الصلاة لشهر صفر الخير لعام 1426 هـ
حسب التوقيت الإداري لمدينتي الرباط وسلا والنواحي

الأيام	صفر الخير 1426	مارس / أبريل 2005	الصبح س : د	الشروق س : د	الظهر س : د	العصر س : د	المغرب س : د	العشاء س : د
السبت	1	12	13:5	39:6	42:12	00:4	36:6	51:7
الأحد	2	13	12:5	38:6	41:12	00:4	37:6	52:7
الاثنين	3	14	10:5	36:6	41:12	00:4	38:6	53:7
الثلاثاء	4	15	09:5	35:6	41:12	01:4	39:6	54:7
الأربعاء	5	16	08:5	34:6	41:12	01:4	39:6	54:7
الخميس	6	17	06:5	32:6	40:12	01:4	40:6	55:7
الجمعة	7	18	05:5	31:6	40:12	02:4	41:6	56:7
السبت	8	19	03:5	30:6	40:12	02:4	42:6	57:7
الأحد	9	20	02:5	28:6	39:12	02:4	42:6	58:7
الاثنين	10	21	00:5	27:6	39:12	02:4	43:6	59:7
الثلاثاء	11	22	59:4	26:6	39:12	03:4	44:6	59:7
الأربعاء	12	23	57:4	24:6	38:12	03:4	45:6	00:8
الخميس	13	24	56:4	23:6	38:12	03:4	46:6	01:8
الجمعة	14	25	54:4	21:6	38:12	03:4	46:6	02:8
السبت	15	26	53:4	20:6	38:12	04:4	47:6	03:8
الأحد	16	27	51:4	19:6	37:12	04:4	48:6	04:8
الاثنين	17	28	50:4	17:6	37:12	04:4	49:6	05:8
الثلاثاء	18	29	48:4	16:6	37:12	04:4	49:6	06:8
الأربعاء	19	30	47:4	15:6	36:12	04:4	50:6	06:8
الخميس	20	31	45:4	13:6	36:12	04:4	51:6	07:8
الجمعة	21	أبريل	44:4	12:6	36:12	05:4	52:6	08:8
السبت	22	2	42:4	11:6	35:12	05:4	52:6	09:8
الأحد	23	3	41:4	09:6	35:12	05:4	53:6	10:8
الاثنين	24	4	39:4	08:6	35:12	05:4	54:6	11:8
الثلاثاء	25	5	38:4	07:6	35:12	05:4	55:6	12:8
الأربعاء	26	6	36:4	05:6	34:12	05:4	55:6	13:8
الخميس	27	7	35:4	04:6	34:12	05:4	56:6	14:8
الجمعة	28	8	33:4	03:6	34:12	06:4	57:6	15:8
السبت	29	9	32:4	01:6	33:12	06:4	58:6	16:8

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1109
السنة39
الجمعة 21 صفر 1426 هـ
الموافق 01 أبريل 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1109 الجمعة 21 صفر 1426 هـ .الموافق 01 أبريل 2005م

تربية الفرد وإصلاح المجتمع من خلال القرآن الكريم

إعداد الأستاذ: الحسن أشقري

أريد أن أضع بين أيدينا آية كريمة من كتاب الله تعالى. وهي آية جامعة في تربية الفرد وإصلاح المجتمع. كنموذج ومثال، تبين مبادئ الإسلام، وأن القرآن الكريم يعرض نظام الكون والحياة، وأنه سهل الفهم، ولا يحتاج إلا للتدبر والعمل للفوز بمرضاة الله في الدنيا والآخرة، وهي قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) سورة الأحزاب:الآيتان: 71.70.

فالاية واضحة في ألفاظها وجملها وتراكيبها، ولا تحتاج إلى تفسير واضح، يدركها كل قارئ وتال وسامع، ولكنها تحتاج للتدبر والفهم، والاتعاظ والعمل، والتذكير بها، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

والأية الكريمة تتركب من تمهيد ومقدمة، يعقبها أمران من الله تعالى، وهما توجيه من رب العالمين، وإرشاد إلهي، وتربية ربانية، ومنهج سليم في الحياة، ويأتي بعد الأمرين مباشرة النتائج التي تترتب عليهما، فذكر القرآن العظيم. في مقابل الأمرين. نتيجتين، الأولى في الدنيا، والثانية في الأخرة، وختم الله الآية الكريمة بمبدإ ديني خالد، يشمل جميع شؤون الدين والدنيا، ويضمن الفوز والسعادة للبشر في الدنيا والآخرة، وهو أن من أطاع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما.

وهذا كلام عام ومجمل ومختصر عن الأية، ولنشرع الآن بتفصيل كل قسم منها:

التمهيد والمقدمة:

مهد الله تعالى لأوامره وإرشاده بمقدمة جذابة لطيفة، فيها الأنس والقرب، وفيها التشويق والترغيب، وفيها العطف والحنان، وفيها الإثارة والجاذبية، فنادى عباده بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا...) أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، والتزموا بدينه وشرعه، توطئة لهم لسماع ما سيأتي:

فالنداء للمؤمنين، والله سبحانه يناديهم بهذا الوصف الجميل الرائع الذي يطمع إليه كل امرئ، إنه وصف الإيمان الذي تبنى عليه جميع الأحكام، وتتفرغ عنه كل الأمور، وتقوم عليه كل النتائج، وهو الذي يبعث في النفوس صوت الإجابة والإنابة، وحنين التلبية لنداء رب العالمين، كأنه يقول: اذاننا مفتوحة، وأسماعنا مصغية، وقلوبنا واعية.

الأمر الأول:

وبعد هذا النداء الرقيق، يأتي الأمر الإلهي الأول، والتوجيه الرباني العظيم، وهو قوله تعالى (... اتقوا الله...)، إنه يأمرنا بالتقوى، وهو من الوقاية، بأن نتقي الله، ونتوقى من عذابه، ونجعل بيننا وبين النار وقاية وحجابا وحاجزا، وذلك بتقديم العمل الصالح، والتقوى هي الالتزام بدين الله، والعمل بأحكامه، وتطبيق شرعه، واجتناب نواهيه، والحفاظ على حرماته، لنحقق لأنفسنا النجاة من النار.

والتقوى أيضا أن يرانا الله تعالى حيث أمرنا، وأن يفقدنا حيث نهانا، والتقوى يتعبير ثالث هي: العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل. والتقوى كلمة جامعة، تكررت في القرآن الكريم في غير ما آية، ووصف الله بها عباده الصالحين، وأولياءه المقربين، وأنبياءه المصطفين، ورتب الإسلام على التقوى نتائج عظيمة وآثار طيبة في الدنيا والآخرة.

فمن أجزاء التقوى أن نعبد الله كأننا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا، وأن نعبد الله عبادة حقيقية كما أمر ربنا سبحانه، وعلى الصورة التي طلبها، وعلى الكيفية التي تحقق أهداف العبادة، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام لصفاء النفس وتهذيب الأخلاق، ومراقبة الله في السر والعلن، والزكاة لشكر الله على نعمه، والإحساس بالمواساة، والحج للشعور الإنساني مع سائر البشر.

وتكون التقوى في سائر الأمكنة والأزمنة، وفي جميع مايفعله المرء وما يتركه، وتتحقق في الخلوة والجلوة، وبأن يستحضر المرء ربه أمام عينه، وأنه مطلع عليه في جميع الأحوال.

قال ابن عباس رضي الله عنه "من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله"، وهذا مأخوذ من قوله تعالى بصريح الآية: (... إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

الأمر الثاني

قال تعالى : (وقولوا قولا سديدا)، فالتوجيه الرباني الثاني هو أن يقول المرء القول السديد، وينطق بالحق، ويتكلم بالصدق، قال ابن كثير: (القول السديد: هو القول المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف).

والقول هو صلة الوصل والخطاب بين البشر، وكلما كانت الصلة قويمة ومستقيمة كانت العلاقة بينهم سديدة ومتينة وقوية وصحيحة. ويعبر عن القول السديد بعبارات كثيرة، منها أن القول السديد هو الذي يكون غذاؤه الصدق في الحديث، واجتناب الكذب والخداع، والقول السديد هو الذي يتفق مع الواقع، فلا يتضمن افتراء أو كذبا، أو شهادة زور، أو يمينا غموسا، والقول السديد هو الذي يريده الله تعالى ويحبه، ويدعو إليه ويرضى عنه، والقول السديد هو الذي يزيد المرء محبة من الناس، ويصلح بينهم، ويقوي العلاقة معهم، ويحبب بين الناس، ويشنف الأسماع، وتطرب له القلوب، وتهوى إليه الأفئدة، ويرفع من مقام صاحبه.

والقول السديد هو الذي تعشقه الملائكة، وترغب في استماعه، وتحضر للإنصات إليه، وتنزل من السماء لتسجيله والأنس به، ويرون في الصحائف، ويطبع على القلوب.

والقول السديد هو الذي لايحمل مفسدة في الدين، أو فسادا في المجتمع، أو إيذاء لسامع، أو غيبة لغائب، أو نميمة على آخر، أو ضلالا في الأرض، أو إضلالا بين الناس.

والقول السديد هو الذي لايتضمن مزحا مفرطا، أو نكتة مخربة، أو مزاحا ضارا، أو معصية للرب، ولا يثير الضغائن والأحقاد، ولا ينقل العداوة والبغضاء.

والقول السديد هو الذي يحفظ فيه الإنسان لسانه عن الهواء، وترديد أقوال المنافقين، وهمسات المرجفين.

والقول السديد هو مافيه ذكر الله تعالى، ويكمن في كل حركة فيه من اللسان حسنة، وفي كل كلمة أجر وصدقة، وهو الذي وصف الله به عباد الرحمان، فقال تعالى (وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)، وهو ماقصده رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت).

قال عكرمة: القول السديد (لاإله إلا الله)، وقال غيره: السديد: الصدق. وقال مجاهد: هو السداد.

والقول السديد يدخل في التقوى، وهو الأمر الأول في الآية، ولكن الله تعالى أفرده بالذكر لتفضيله، وكأنه جنس برأسه.

هكذا يظهر أن الآية الكريمة أمرت بأمرين، وأرشدت إلى توجيهين ربانيين، فيهما جماع الخير كله، وفيهما الوسيلة القويمة إلى صلاح الفرد، وإصلاح المجتمع، وفيهما تربية للمسلم، وتأديب له بالأدب الإلهي، ليكون لبنة صالحة في المجتمع، وهذان التوجيهان يشملان شؤون الدنيا والآخرة، ويحققان مرضاة الناس ومرضاة الله تعالى، وفيهما من الوضوح ما لا يحتاج إلى شرح وتفصيل، وفيهما من العمق والمعاني ما لا حد له، لذلك رتب القرآن عليهما النتائج العظيمة، فذكر اثنين وهما:

أ ـ الصلاح:

وهو النتيجة الأولى لهذا التوجيه والإرشاد، فإذا التزم المسلم بهذه التوجيهات الربانية فقد وعده الله تعالى أن يصلح له عمله، ويمده بالكمال والفضائل، وأن يوفقه للأعمال الصالحة، فتكون حياته صالحة، وآخرته صالحة، ونفسه صالحة، وزوجته صالحة وذريته صالحة، ويصلح له من حوله، ويصلح له شأنه كله، وبذلك يصلح الفرد والمجتمع، وتسود فيه الفضيلة والتعاون، والمحبة والمودة، والبر والتكافل. ولاشك أن هذه النتيجة هي قمة الأهداف التي يسعى لها الفرد والمجتمع، وهي الغاية القصوى من أغراض التربية القديمة والحديثة على السواء، وهي الأمل المنشود الذي يبذل له المصلحون جهدهم وطاقتهم، لتحقيق الصلاح الفردي والاجتماعي، والصلاح الخاص والعام.

ب ـ غفران الذنوب:

وهو النتيجة الثانية التي يحققها رب العالمين لمن التزم بالتقوى، وقال قولا سديدا، فيغفر له الذنوب الماضية، وما قد يقع في المستقبل، بأن يلهمه التوبة منها، فالذنوب تكفر بالاستقامة في القول والعمل.

وإن ذنوب البشر كثيرة، وتقصيره واضح، والخجل من نفسه مكشوف، والطريق إلى مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، وتغطية التقصير، واستدراك النقص، والطمع فيما عند الله تعالى، والرجاء في رضوانه هو العمل الصالح، والتوبة النصوح، فالله سبحانه وتعالى يقول: (... إن الحسنات يذهبن السيئات)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها)، و (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)، والله سبحانه شرع التوبة لإزالة الخطأ، ودعا إلى التوبة، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار...)، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل في الحديث القدسي قال: "يابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك، يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لاتشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"، وهذا تعليم منه صلى الله عليه وسلم لكل مسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها".

وهذه النتيجة الثانية لتطبيق التوجيه الرباني هي أسمى مايطلبه المسلم في الدنيا والأخرة، وهي أغلى أمانيه من غفران الذنوب وتكفير السيئات لمواجهة الله تعالى بوجه أبيض ناصع، وقلب خال من الذنوب والخطايا، وجسم نظيف من السيئات، فيلقى الله تعالى بوجه ناضر، ونفس رضية، وروح مفعمة بالإيمان، كما يحس في الدنيا بالصفاء والنقاء، والطهارة والنظافة، ويكون عضوا صالحا في المجتمع.

تقرير المبدأ الإلهي الخالد:

ويختم رب العزة هذه الآية الجليلة العظيمة بتقرير المبدأ الإسلامي الخالد، وتقرير الدستور السماوي الثابت، والقاعدة الدينية الشاملة لجميع أمور الدين، وهي: (...ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما).

إن التقوى الكاملة، والسداد في القول: والرشاد في العمل، وتطبيق العبودية الكاملة، ونيل رضوان الله تعالى، وتحقيق الفوز العظيم، يرتبط بطاعة الله والرسول، ومن يفعل ذلك يستحق الجزاء الأوفى، فيسعد في الدنيا، وينجو من نار جهنم، ويصل إلى النعيم المقيم في الآخرة.

وتتمثل طاعة الله تعالى في تنفيذ الأوامر والأحكام، والاستقامة على نهجه، واجتناب النواهي والمحرمات، وترك المنكرات، كما تتمثل في إقامة شعائر الدين، والحفاظ على فرائضه، والقيام بشرعه ودينه، والتخلي عن الأديان الباطلة، والمبادئ الدخيلة، والأفكار الفاسدة، والشعارات المستوردة، والمذاهب الضالة. كما تتمثل طاعة الله تعالى في اجتناب شياطين الإنس والجن، والإعراض عن وسوستها، والتنكب عن طريقها، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان...)

وأما طاعة الرسول فهي من طاعة الله تعالى، قال عز وجل : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)، وربط الله محبته باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)، وقرن الله طاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم: فقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وأنتم تسمعون).

وتتمثل طاعة الرسول بالاهتداء بهديه، والاقتداء بسيرته، والالتزام بمنهجه، والتأسي بأعماله، والوقوف عند سنته، وقد جعله الله تعالى أسوة لنا، وقدوة لمن آمن بالله واليوم الآخر، فقال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

ومتى تحققت طاعة الله ورسوله، تحقق الفوز الكامل، والنجاح الباهر، والسعادة الدنيوية والأخروية، وتحققت العزة والكرامة، والنصر والاستعلاء.

نعم إنه يتحقق الفوز في الدنيا بالنعيم والراحة، والتوفيق إلى محاب الأعمال، ويتحقق الفوز في الآخرة. برضوان الله تعالى، وكسب محبته، والفوز بجنته، والتخلص من غضبه ومقته وعذابه. وفي هذا المعنى يلتقي آخر الآية بالفوز العظيم في جنات النعيم، والنجاة من العذاب المقيم، مع مقدمة الآية والتوجيه الرباني الأول في الآية (...اتقوا الله...)، وتتفق الخاتمة في طاعة الله ورسوله، مع الأمر الأول بالتقوى، ويتحد المبدأ والملتقى والنهاية في هذه الآية الجليلة الجميلة. والله تعالى أعلم.